الصادق الأمين

سيرة مصورة عن حياة الرسول محمد صلى الله عليه وآله



قصة: فائق عبد الحسين الشمري
رسوم: حسين الجاسم

العتبة العلوية المقدسة
شعبة الصحافة

صدرت عن وحدة أدب الطفولة
شعبة الصحافة/قسم الاعلام
2017 م _ 1438 هـ

مجموعة
قنبر يقرأ

قصة
فائق عبد الحسين الشمري

رسوم
حسين الجاسم

تصميم
ذو الفقار الحلو

للاتصال بنا:
MOb:+946 7802591242
Web: www.imamali-a.com
Email: www.imamali-a.com

الصادق الأمين

سيرة مصورة عن حياة الرسول محمد صلى الله عليه وآله

المقدّمة

(مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ..) (الفتح/29).

كتب كثيرون في سيرة المصطفى(صلى الله عليه وآله) يذكرون فيها تاريخ أعظم رجل عرفته البشرية، فكانت سفرا خالدا ومعينا ثرا للناهلين من غدير النبوة، وكانت بحق تبيانا عمليا وواقعيا لدور الأخلاق في المجتمعات؛ كيف لا وهو الصادق الأمين وصاحب الخلق العظيم بشهادة الباري عزّ وعلا في سورة القلم المباركة: (وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ).. فالأخلاق عامل رئيس وأساس لحياة كريمة وسعيدة لمختلف أصناف البشر، وبخاصّةً مع الأشخاص الذين لا يحملون الفكرة ذاتها.

يمكن القول إنّ السيرة النبويّة بتلك الشمائل والسيرة العطرة للمصطفى (صلى الله عليه وآله) تعدُّ منهج حياة لكلِّ مسلم يرجو لنفسه الخير والرفعة والكرامة في الدنيا والآخرة، بتلك القدوة الصالحة، والأسوة الحسنة متمثلة بشخص الرسول الاكرم (صلى الله عليه وآله)، قال تعالى: (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا) (الاحزاب/21) . كان (صلى الله عليه وآله) من أجود الناس يدا بل أجودهم، ومن أصدق الناس لهجة لا بل أصدقهم، وهو ألينهم طبعاً، وأكرمهم عِشْرَةً، وكان (صلى الله عليه وآله) أشجع الناس وفي ذلك قال أمير المؤمنين (عليه السلام): (كنا اذا اشتد القتال لذنا برسول الله)، وكان (صلى الله عليه وآله) أشد الناس تواضعاً لصغير وكبير، وألينهم عريكة وأسمحهم خلقاً، وأبعدهم عن الكبر، وأعرفهم بالحق، وكان(صلى الله عليه وآله) يجالس الفقراء والمساكين ويعود المرضى ويمشي في الجنائز.. وكان يقول: (لا ترفعوني فوق حقي، فإن الله تعالى خلقني عبدا، واتخذني عبدا قبل أن يتخذني نبيا)، وما زال (صلى الله عليه وآله) يلطف بالخلق ويريهم المعجزات، فانشق له القمر، وظلله الغمام، ونبع الماء من بين أصابعه، وكانت تحل

البركة والخير والنماء أينما حل وفي أي مكان سكن. من هنا لم تخب جذوة عبق هذه السيرة العطرة وما زالت فوّاحة ولن تزول بهدي النبي صلى الله عليه وآله ، فكلما تمعن فيها الأنسان تبين له موقفا جديدا، وعبرة مستفادة من خلال ذلك الكم الهائل من الدروس المستمدة من حياة الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وحياة أهل بيته الميامين وخلص أصحابه الأبرار..

ونحن إذ نقدم هذه السيرة العطرة والشمائل المباركة للمصطفى (صلى الله عليه وآله) في جهد أحتسبه عند الله عز وجل في جمع هذه الفوائد من بطون المصادر و المراجع والمؤلفات المختصة بهذا الشأن والمعروفين بصدق القول وأمانة النقل ، مع مراعاة الاختصار والاختيار وعدم التعقيد ، متجنبا الإجحاف والانحراف والأخذ من المسلمات ، والابتعاد عن مواطن الاختلاف ما سمح به المقام.. مستمداً من القرآن الكريم تفاسيره المعتمدة ، وتضمين الكثير من المحطات بالآيات المباركة لتعريف القاريء بها والاطلاع على اسباب نزولها بطريقة غير مباشرة ، والإفادة من كتب السيرة كموسوعة العاملي(الصحيح من سيرة المصطفى، فضلا عن كتاب(حياة المصطفى) للشيخ باقر شريف القرشي.. ولا أدعي أنني استوعبت الموضوع كله دفعا للإطالة ومراعاة لمستوى الناشئين، لتقديم مادة علمية بلغة ميسورة تستطيع من خلالها هذه الفئة العمرية الوقوف على اهم المحطات المباركة لهذه السيرة العطرة..

وأرجو أني قد أديت المطلوب إلى حد قريب ، وأدعو الله سبحانه أن ينفع به المسلمين ، ويجعله خالصاً لوجهة الكريم . وصلى الله على خير خلقه محمد وآله الطيبين الطاهرين .

فائق الشمري

رمضان 1438هـ
حزيران 2017 م

(مكةُ).. أرضٌ مليئةٌ بالحجارةِ القاسيةِ، تحيطُها الجبالُ من كلِ جانبٍ.. بعثَ اللّه فيها الحياةَ بعدَ ان حلّ فيها نبيّه إبراهيمُ «عليه السلام» و بنى فيها بيتَ اللّه الحرام (الكعبةِ)، سائلاً اللّه سبحانَه وتعالى أن يخصَّها بالأمنِ، ويرزقُ أهلَها منَ الثمراتِ، ففجَّرَ فيها ماءَ زمزمٍ، وهي عين ماء صافيةٌ يشرب منها الساكنون في مكة.

عاشت عائلةُ النبيّ إبراهيم في مكة بسلام يعبدون اللّه ولا يشركون به أحدا.. وصارت مكةُ موضعا دينياً مهماً مُنذُ ذلكَ الوقت، وذاعَ خبرُها بينَ الناسِ سنةً بعد أخرى فتجمَّعَ فيها الناسُ وبدأت القبائلُ العربيةُ تقصدُها لتأديةِ الشعائرِ الدينيةِ من صلاةٍ وطوافٍ حولَ الكعبةِ، كما صارت مركزاً تجارياً مهماً تباعُ فيها البضائع التي يأتي بها تجار مكةَ من اليمنِ شتاءً ومن الشامِ صيفاً، ولأهمية مكةَ أطلقَ العربُ عليها اسمَ (أم القرى).

عاشت عائلةُ النبيّ إبراهيمٍ في مكة بسلامٍ يعبدون اللّه.. وصارت مكةُ موضعاً دينياً مهما منذُ ذلكَ الوقت



على مدى سنينَ طويلة سكنت امَّ القرى عشائرُ عربيةٌ كثيرةٌ ومتنوعةٌ، وكان مجتمعُ مكةَ يتألفُ من طبقتين: طبقة الأسيادِ الأغنياءِ وطبقة الفقراءِ والعبيدِ.. وكانت حياةُ العربِ تلكَ يخيّمُ عليها الضلالُ وتتفشى فيها الأمية حتى عرفت بالجاهليةِ لذلك..

أما بنو هاشم: فهم فرعٌ بارزٌ من فروعِ قبيلةِ قريشِ التي سكنت مكة، وكان رجالُها يمتلكون خصالاً حميدة جعلتهم محترمين عند الناسِ.

كان (عبدُ المطلب) أحدُ أبرزُ أبناء(هاشم) الذي سُمِّيتِ العشيرةُ باسمه، وصارَ أبناءُ عبد المطلب و أحفادُه يعرفون بالهاشميين نسبةً إلى جدهم هاشم.. وقد أُطلِقَ عليه هذا الاسمُ لأنَّه كان كريماً إذ كان يهشَم الثريدَ في آنيةٍ كبيرةٍ لأهلِ مكةَ في مجاعةٍ مرّوا بها..



كان العربِ في مكة يعانون من الضلالُ والجهل وكانوا مشركين يعبدون الاصنام

سيطرت الحبشةِ* على اليمنِ، وكانَ الملوكُ يتعاقبون على حكمِها، وكان (إبرهةُ الحبشي) آخرَ هؤلاءِ الملوك، ويلقب بـ(أبرهةَ الأشرم)، حكمَ اليمنَ بطغيانٍ وتسلط وقسوة لسنينَ طويلة، وكانَ يحسدُ العربَ لأن لديهم الكعبةُ، ويشعرُ بالغيرة لتوجه الناس إلى «مكةَ» لغرضِ الحجِّ وما يرافقُ هذا من مردودٍ اقتصاديٍّ وفائدة تجاريةٍ كبيرة.

فَفكَّرَ ذاتَ يومٍ بتشييد كنيسة كبيرةٍ سمّاها «القليس» لم يُرَ مثلَها في ذلك الزمنِ مثيلاً، زيّنَها بالرّخام وجعلَ فوقَها القبابَ المذهبةَ، لغرض صرفِ أنظارِ الناسِ نحوها وَجعلِ العربَ تحجُّ إليها بدلاً من الكعبةِ، والايمان بدينِ النصارى، إلا أنَّ خطته تلك لم تنجحِ، ولم يهتم بكنيسته أحد، ففكَّرَ بهدم البيت الحرام والتخلص منه نهائياً، فجهَّزَ جيشاً كبيراً فيه فيلةٌ مدربةٌ على القتال، وزحفَ نحو «الكعبة» لهدمِها.

* الحبشة: هي أثيوبيا الحالية، وكانت الحبشة قديما والمناطق التي تسيطر عليها تدين بدين المسيحية.

حكمَ (ابرهة) اليمنَ بطغيانٍ وقسوةٍ لسنينَ طويلةٍ، وكانَ يحسدُ العربَ لأن لديهم الكعبةُ



لم تكن لأهلِ مكةَ قدرةُ على قتال أبرهةَ الحبشيِّ وفيله الضخمة، وبإيمانِ رجلٍ عَرفَ التوحيدَ وعبادةَ الله الواحد الأحد باتباعه ملة «إبراهيمَ الحنيفَ» أشارَ سيدُ مكة - عبدُ المطلب- بصعود الجبالِ لتكون ملجأً لهم من بطشِ أبرهةَ وجيشه، وقال: إنَّ (للبيت ربٌّ يحميه).

وبقلوب مشفقة وعيون باكية من الفرحِ، كان المكيونَ مذهولونَ وهم ينظرونَ لأعدادٍ هائلةٍ من الطيور تظللُ مكةَ كالغمامة وترمي جيوشَ أبرهةَ بحجارةٍ نارية منَ السماءِ تسمى (السجيل) وكانت واحدةً من المعجزات الإلهية التي حيَّرت الناس، ذكرها الله تعالى في قرآنه الكريم فقال: (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ❖ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ❖ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ❖ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ❖ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ) سورة الفيل (1-5) .. ونظراً لأهميةِ هذه الحادثة فقد صارَ العربُ يؤرخون بها وسمّي ذلك العام بـ(عام الفيل).

بعث اللّٰه سبحانه طيوراً كثيرةً ترمي جيوشَ أبرهةَ بحجارةٍ ناريةٍ تسمى (السجيل)



رغم معجزةِ طيورِ الأبابيل الباهرة، التي تدلُّ على وجود إله واحد يرعى الناسَ ويعطِفُ عليهم، كانَ كثيرُ من أهلِ مكةَ يعيشونَ حياةً الجاهليةِ ويعبدون الأصنام، إذ تركوا دينَ نبيِّ اللّه إبراهيم «عليه السلام» وعبادةَ اللّهِ الواحد، وصاروا يعبدونَ أصناماً لا تضرُّ ولا تنفعُ يصنعونها بأيديهم من الأحجارِ والخشبِ والتمرِ أيضا.. يقدسونَها ويقدّمونَ لها الهدايا ويذبحون لها القرابين..

وفي المقابل كان (الأحنافُ)* ، ينظرون بحزن لما يمارسه المشركون من محرمات، ولم يقبلوا بحياة الجاهلية تلك لما فيها من فواحشَ ووأدٍ للبنات **.

بالإضافة لما يعانيه أهلُ مكةَ الفقراءُ والضعفاءُ من صعوبات، فالقويُّ كان يعتدي على الضعيفِ ويظلِمُ الأغنياءُ الفقراءَ ويعيش كثيرُ من الناسِ على السرقةِ والاعتداء.

❖ الأحناف: جماعة بقيت على دين نبي الله إبراهيم الحنيف الذي نادى بعبادة الله الواحد الأحد وعدم الإشراك به، والحنيف: المستقيم المنصرف عن الضَّلال متَّجها إلى الحقِّ.

❖❖ واد البنات: اي دفنهن أحياء بالتراب.. بعادة قاسية ايام الجاهلية.


كان (الأحنافُ) ينظرون بحزن لما يمارسه المشركون من محرمات

كان «عبد المطلب» باقياً على دينَ نبيِّ اللهِ إبراهيمَ الحنيف كأجداده، وقد ولد له عشرة أبناء، من بينهم العباسُ وحمزةُ وأبو طالب، بالإضافة لـ(عبد الله) الذي لم تعرفْ قريش نظيراً له، وكان أبوه يحبُّه كثيراً.

ولمّا بلغَ (عبدُ الله) مبلغَ الرجالِ تزوجَ واحدة من أحسنِ النساءِ هي(آمنةَ بنتَ وهبٍ) لتكونَ زوجةً له بعيداً عن مكّة، إلا إنَّ الفَرحةَ لم تدمْ طويلاً.. فقدْ توفى (عبد الله) بعدَ فترة قليلة من زواجه، ولم ترَ عيناه ولادةَ طفله المباركِ الذي سيكون لهُ شأنٌ عظيمٌ عندما يكبرُ، إذ سينقذُ الناسَ من ظلماتِ الجاهليةِ ويهديهم إلى نورِ الإسلام.

وبالفعلِ، أشرقَ يومُ الجمعةِ السابعَ عشرَ من ربيعِ الأولِ بضَياء جميل، وانتشرتْ معَ نسيم صَباحه رائحةٌ طيبةٌ، واستَقبلَ أهلُ مكةَ خبراً سعيداً بولادةِ نبي الرحمةِ الا وهو ولادة (محمدٍ) (صلى الله عليه وآله).

استقبلَ أهلُ مكةَ خبراً سعيداً بـولادةِ نبي الرحمةِ الا وهو ولادةُ محمدٍ (صلى الله عليه وآله وسلم)



حلّقت الملائكةُ حولَ ذلك البيتِ الهاشمي، ورفرفت بأجنحتِها البيضاءُ بين الأرضِ والسماءِ، وما إنْ خرجَ ذلك المولودُ محمدٌ (صلى الله عليه وآله وسلم) من بطن أمهِ حتى تلقى الأرضَ بيدهِ اليسرى ورفعَ اليمنى نحوَ السماءِ، مُحرّكاً شفتيه بذكرِ اللهِ، لتُشرقَ الأرضَ بنورِ طلعتهِ البهيةِ.

كان يوماً عظيماً تهللتْ فيه الوجوهُ واستبشرتْ الملائكةُ ورُجمتْ بولادتِه الشياطين، كما حدثتْ فيه أحداثٌ عظيمةٌ ومعجزاتٌ باهرةٌ، فقد سقطتْ الأصنامُ التي كانتْ تعلو الكعبة ووقعت على وجوهِها، على الرغم مِنْ إنَّ أحداً لمْ يَلْمَسها، وانطفأت فجأة نارُ المجوس التي لم تنطفِ منذُ ألفِ عام وكانتْ تُعبَدُ من دونِ اللهِ، كما ارتجّ إيوانُ كسرى الضخم وسقطتْ بعضُ شرفاتِه، وكانَ رمزاً للتسلطِ والطغيانِ والعلوِ في الأرضِ.

في لحظة ولادة محمد(ﷺ) سقطتْ الأصنامُ في مكة فجأةً وانطفأت نارُ المجوسِ وارتجّ إيوانُ كسرى وسقطتْ بعضُ شرفاتهِ



الصادق الامين

اعتادَ أشرافُ قريش أنْ يرسلوا أولادهم الصغارَ إلى الباديةِ لينشأوا أصحّاءَ وأقوياءَ لذا فكّرَ عبدُ المطلبِ بإرسالِ حفيدِه (محمداً) إلى هناك، وأعطاه إلى إحدى نساء البوادي وهيَ المرضعةُ (حليمةُ السعديةِ) لإرضاعِه والعنايةِ بهِ، ولمّا التقتْ عينا المرضعةِ بعينيْ محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) الجميلتين، ولمحتَ ابتسامةً على فمِه الشريف امتلأَ قلبُها حباً وحناناً نحوه فأخذتهُ بين يديْها، وانطلقتْ به مسرورةً نحوَ بادية بني سعد، وحين قدوم هذا الطفل المباركِ لمسَ (بنو سعد) الخيرَ والنماءَ والرزقَ الوفيرَ، فعاشَ فيها يملأُ رئتيْه من هواءِ الباديةِ العذبِ متأملاً سماءَها المليئةَ بالنجوم.

وبعد أن كَبُرَ وصارَ صبياً ردّوه إلى جدّهِ عبدِ المطلبِ وأمهِ آمنةَ بنتِ وهبٍ ففرحتْ به وسرّت سروراً عظيماً.



أرسل عبدُ المطلبِ حفيده (محمداً) إلى إحدى نساءِ البوادي وهيَ المرضعةُ (حليمةُ السعديةِ)

غَمَرَ عبدُ المطلبِ حفيدهَ محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم) بعطفهِ وحنانهِ وكان يُسرَّ برؤيتِه، وأصبحَ الشغل الشاغل الوحيد لعبد المطلب حتى عن أولاده واعز شيء لديه، فتولى رعايتَهُ وملأَ الفراغَ الذي تركَهُ أبواه، إذْ توفي والده وهو جنينٌ في بطنِ أمه، وتوفيتْ والدتُه أيضاً بعدَ أنْ تجاوزَ الخامسةَ منَ العمر، فعاشَ في ظلِّ جدِّه الحكيم (عبدِ المطلب) الذي كان يقول دائماً: (إنّ لأَبني هذا شأناً عظيماً).

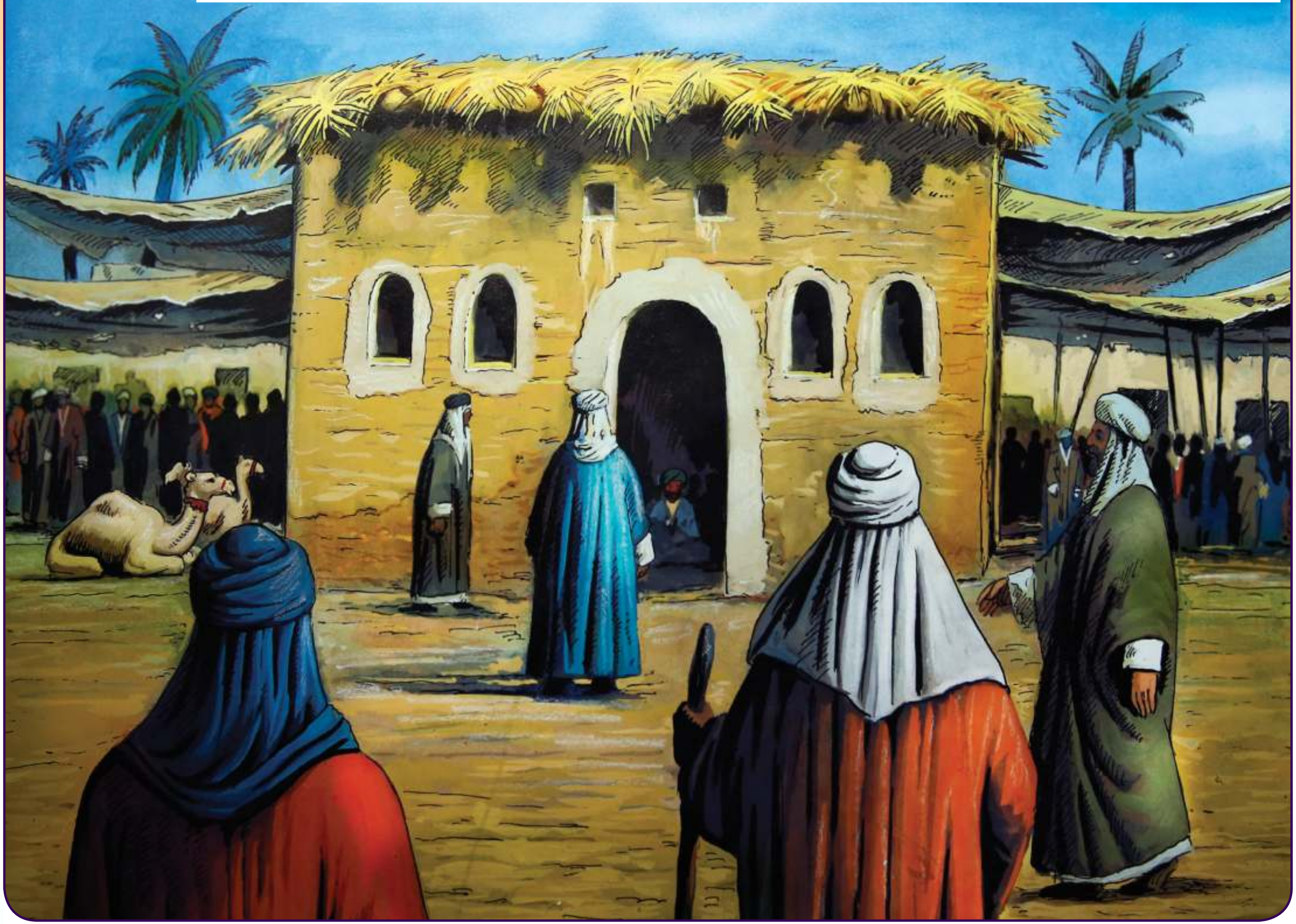
إلا أنَّ ذلك لم يدمْ طويلاً أيضاً، فما أنْ بلغَ محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم) الثامنةَ من عمرهِ حتى أحسَّ جدُّهُ أن عمره قد شارفَ على الانتهاءِ، ولم يفكرْ الجدُّ الطيبُ في ذلك الوقتِ إلا بحفيدهِ فأوصى بِه خيراً لرعايتهِ من بعدهِ، واختارَ من بينَ أبنائه (أبا طالبٍ) لهذهِ المهمةِ.



أوصى عبد المطلب إبنه أبا طالب برعاية محمد ﷺ من بعده

حفظ العمُّ أبو طالب وصيةَ والده (عبدِ المطلب) وكان محمدٌ (صلى الله عليه وآله وسلم) بمثابةِ الابنِ بالنسبةِ إليه، ولم يكنْ يهمُّه شيءٌ كما يهمّهُ أمرُ ابنُ أخيه و رعايتهُ، فمسحَ عن وجههِ حزنَ فقدَ الأبوينِ والجد، وساعدتْهُ في تلك المهمة زوجتهُ الطيبةُ (فاطمةُ بنتُ أسد) التي تميزتْ بعطفها وحنانِها وحبِها لمحمدٍ (صلى الله عليه وآله وسلم) الذي تنبأ الحكماءُ بأنَّ له شأناً كبيراً في المستقبلِ ويبشرون عمّه (ابا طالب) بذلك كلّما نظروا إليه، فكان يحرصُ على رعايتهِ وأنْ يكون قريباً منه و لا يفارقُه أبدا، فكان يأخذُه معه في تنقله داخلَ مكةَ وخارجَها، ويدخلُه معه حتى الأماكنَ التي لا يدخلُها إلا شيوخَ مكةَ وسادتُها (كدارِ الندوةِ) التي كانوا يعقدون فيها أهمَّ الاجتماعاتِ حولَ شؤون قريشٍ المختلفة.

كان أبو طالب يأخذُ محمداً ﷺ معه الى الأماكنَ التي لا يدخلُها إلا شيوخُ مكةَ وسادتُها مثل (دارِ الندوةِ)



عـاشَ العـربُ حياةَ الجاهليةِ، يشـركون بـاللّهِ ويعبدونَ الأصنـامَ ويأكلونَ الميتةَ ويشربونَ الخمرَ ويقتلون البناتِ الصغار بدفنهنَّ أحياءً في الترابِ.

كمـا لم يسـلَمْ مـن القتلِ الكِبـارُ، فالإنسـانُ عندهم يُقْتلُ لأسـبابٍ تافهة، وعاشَ كثيرُ منهم على السلبِ والسرقةِ ولا يسعون لتحصيل الرزقَ الحلال بالعملِ الشريف.

كَرِهِ محمدٌ(صلى الله عليه وآله وسلم) حياةَ الجاهليةِ تلك، فكان يتألَّمُ عندما يرى قومَه وهم بهـذا الحـالِ ومـا يعبدونَ مـن دونِ اللّه تعـالى، وكان يعرفُ بأنَّ لهـذا الكونِ خالقاً لا شـريكَ له ولا نظيرَ، سميعاً مجيباً، وليس أصناماً مصنوعةً من حجارةٍ صماءَ لا تملكُ لنفسِها ضراً ولا نفعاً.



عاشَ العربُ حياةَ الجاهليةِ، وكانوا يقتلون البناتِ الصغار بدفنهنَّ أحياءً في الترابِ لأنهم يحتقرون المرأةَ

مـع مـرورِ الأيـام كَبُر محمـدٌ (صلى الله عليه وآله وسلم) و أصبـح في مطلعِ شـبابـِه جامعاً لكلِّ الصفـاتِ الحسـنَة والأخـلاقِ الفاضلـةِ، حتـى اشـتهرَ لـدَى قومِـه بـ(الصادق الأمـين) ووجـدَ فيـه المكيّون والقرشـيون سـيداً من سـاداتِ العـربِ الموهوبين ومرجعـاً إليهـم في المهماتِ وحـلِ الخصومات، وكانت مكةُ تفتقرُ لشـخصٍ بمثلِ صفاتِه.

وعندما أسسَ شبابُ مكة جماعةً تسمى (حِلفَ الفضول) لمناصرةِ المظلومين وأخـذِ حقهِـم من الظالـمينَ، كان محمدٌ (صلى الله عليه وآله وسلم) من أوائـلِ المنظمّين إليهم، لأنَّ ذلـك ينسـجمُ مع أخلاقِه ورغباتِه، لوضعِ حدٍ للبغـي والعدوانِ من قبلِ القرشيين واعتداءاتِهم المتكررةِ على الوافدين في موسمِ الحجِّ لزيارةِ البيتِ العتيق*.

* البيت العتيق: من أسماء الكعبة المشرفة.. ويقال انه سمي بالعتيق من القِدم لأن الله جعله أول بيت وضع للناس، وفي رأي آخر لأنه بيت حر عتيق من الناس لم يملكه احد إلا الله.

أسسَ شبابُ مكة جماعةً تسمى (حلفَ الفضول) لمناصرةِ المظلومين فكان محمد ﷺ من أوائلِ المنظمّين إليهم



كما هوَ معلومٌ فإنَّ العربَ كانت تحترمُ بيتَ اللهِ الحرام «الكعبةَ» وتحجُّ إليها قبلَ الإسلام وكانَ لها مكانةٌ كبيرةٌ في نفوسِهم، ويتعاهدونَها بالبناءِ والترميم علَى مرِّ السنين، إلا أنّهم كانوا قد وضعوا فيها أصنامَهم وأشركوا باللهِ سبحانَه ومارسوا كثيرا من الموبقاتِ.. ولما اجتاحَ سيلٌ جارفٌ من المياهِ مكةَ وهدمَ جانباً من بناء الكعبةِ، حرصَ أهلُ مكةَ على إعادةِ بناءِ بيتِ اللهِ العتيقِ، ولما أرادوا إعادة الحجرِ الأسودِ* إلى مكانه في ركنِ الكعبةِ، اختلف زعماء قريش في الشخص الذي سيفوز بشرف حمله وإعادته إلى مكانه، فقد كان لهذا الحجر شأنٌ عظيم، وازدادَ الخلافُ بينهم لدرجةِ القتال، لولا أن اقترحَ شيوخُهم بأنْ يحتكموا عند أول شخصٍ يدخلُ عليهم، فرضيَ الجميعُ بذلك الاقتراح.

❖ الحجر الأسود: هو حجر من أحجار الجنة، وكان لونه أبيض ناصعاً كالثلج حتى اسْوَدّ بسبب ذنوب الناس. ويعرف الحجاج به بداية الطواف حول الكعبة.

اختلف زعماء قريش في الشخص الذي سيفوز بشرف حمل الحجر الاسود وإعادته إلى مكانه في الكعبة



وقف الناسُ ينتظرون أولَ القادمين، فإذا بمحمدٍ (صلى الله عليه وآله وسلم) قدْ أقبلَ عليهم، فارتفعَ صوتُ الحاضرين بفرحٍ: (هذا محمدُ الأَمينِ قد رضينا بحكمِه).

ولما عَرفَ (صلى الله عليه وآله وسلم) ما جرى بينهم، حلّ المشكلةَ بأسلوب رائع أرضى الجميع، إذْ أخذَ رداءَه ووضعَ فيه الحجر الأسودَ، وأمرَ كلَّ زعيمٍ قبيلةٍ بأنْ يأخذَ طرفاً من الرداءِ ليشاركَ جميعهم بحملِ الحجر ويشعروا بالمساواةِ، حتى إذا صار قريباً من موضعه أخذَه محمدٌ (صلى الله عليه وآله وسلم) بيديه الشريفتين ووضعَه في مكانِه، وهكذا حفَظَ بهذا الحكمِ العادلِ حقوقَ القبائلِ كلّها وأصلحَ بينهم بحكمة.

أخذ محمدٌ ﷺ الحجر الاسود بيديه الشريفتين ووضعَه في مكانِه في جدار الكعبة



أحبَ محمدٌ (صلى الله عليه وآله وسلم) العملَ والكسبَ من عرقِ الجبينِ فهو شرفٌ وجهادٌ، وفي شبابِه عملَ في التجارةِ، فقد تاجرَ بأموالِ السيدةِ خديجة بنت خويلد إحدى افضل نساءِ قريش وأكملهن عقلاً وعفةً، وكانت تُعْرَفُ (بالطاهرة).

كان يحقِقُ أرباحاً كبيرة، وكانت خديجةُ تزدادُ إعجاباً به (صلى الله عليه وآله وسلم) لما يمتلكه من أمانةٍ وإخلاص.

وقد تقدمَ للزواجِ من خديجةَ كبارُ تجارِ قريش و سادتِها، وكانت ترفض الزواجَ منهم جميعاً، إلا أنها فرحتْ فرحاً كبيراً عندما تقدم للزواج منها الصادقُ الأمينُ محمدُ بن عبد الله (صلى الله عليه وآله وسلم) على الرغم من أنه لم يكُن من الأغنياءِ، لأنّها كانت مدركةً بأنها ستتزوجُ من رجلٍ عظيم في أخلاقه، ليبني معها حياةً جديدةً، فقد رأت فيه النبلَ والصدقَ والكمالَ الذي لم يحظَ به أيّ رجل من رجالِ قريشٍ.

كانت خديجة بنت خويلدٍ إحدى افضل نساءِ قريشٍ وأكملهن عقلاً وعفةً، وكانت تُعْرَفُ (بالطاهرةِ)



بسـبب الظـروفِ الصحراويـةِ القاسـيةِ الـتي كـان يعيشُـها أهـلُ مكـةَ، فقد كانـتْ تمـرُّ عليهم فتراتٌ صعبةٌ يعانـونَ فيها من الجفافِ والفقرِ والجوع.. ومـن أجـلِ التخفيـفِ عـن (أبـي طالـب) - وكان كثـيرُ العيـالِ - طلـبَ المصطفى(صلى الله عليه وآله وسلم) منه أن يسمحَ لابن عمّه وأخيه (علي) «عليه السلام» للعيشِ معه ليتولى محمد(صلى الله عليه وآله وسلم) العناية به بنفسه ويغمرُه بعطفهِ ومودته.. وكان هذا بالفعلِ، إذ عـاشَ الاثنـانِ معـاً، يتبـع علـي «عليه السـلام» معلّمـه العظيم ومربيه الفاضلَ محمداً(صلى الله عليه وآله وسلم) الذي صارَ يغذّيه بطباعهِ ويغمره بنسماتِ النبوةِ العطرة.

وكان يتبعُـه إتبـاعَ الفصيـل❖ لأمِّه حبـاً وحنانـاً، ويرافقـه حتى في أماكنَ تأملاتهِ وتفكرهِ في خلقِ السـماءِ والأرضِ والإنسـانِ، عندما كان يبتعدُ عن ضوضـاءِ الحيـاةِ في مكـة وما يمارسُ فيها من آثام ومنكرات وعبادة للأصنام مـن دونِ اللهِ، وينشـدُ الهـدوء بالذهـابِ إلى غارٍ أسمُه (حـراء) يقعُ في أحدى الجبالِ المطلةِ على مكة.

❖ الفصيل: ابن الناقة

طلبَ المصطفى ﷺ من أبي طالب أن يسمحَ له أخذ علي عليه السلام للعيشِ معه ليتولى تربيته والعناية به بنفسه



محمد النبي

بعد أن بلغَ محمدٌ (صلى الله عليه وآله وسلم) أربعينَ سنةً منْ عمره، بعثه اللهُ تعالى نبياً وهادياً للبشريةِ جميعاَ، قال تعالى: «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا» (الأحزاب/٤٥).

فأثناء تواجده في غارِ حراء، كان المصطفى يتعبّدُ ويسبّحُ اللهَ تعالى في شهرِ رمضانَ، فجاءه الملك (جبرائيلُ) عليه السلام، يحملُ إليه أولى آياتِ القرآنِ الكريم، ويبلّغه بمهمتهِ السماويةِ بنشر دين الإسلام إلى الناسِ لينقذهم مِنَ الجهلِ والانحطاطِ ويهديهم إلى طريقِ الأيمان.

وكانت أوامرُ اللهِ سبحانَه وتعالى واضحةً وصريحةً لرسوله الكريم لتبليغِ الرسالةِ السماويةِ إلى الناسِ، يأمرُهم بعبادةِ اللهِ وحدهُ والصلاةَ والصومَ والزكاةِ، ويعلمهم صدقَ الحديثِ وأداءَ الأمانةِ والكفَّ عن المحارمِ وينهاهم عن الفواحشِ. فكانت زوجتُه خديجةُ أوّل المؤمناتِ وابن عمّهِ عليّ (عليه السلام) أوّل المؤمنين برسالته.

جاءِ الملك (جبرائيلُ) للنبي محمد ﷺ يحملُ إليه أولى آياتِ القرآنِ الكريم، ويبلّغه بمهمة نشر دين الإسلام



دعا الرسولُ (صلى الله عليه وآله وسلم) الناسَ إلى عبادةِ إله واحدٍ وترك عبادة الأصنام، وأخذ يتلو عليهم آياتِ القرآنَ ويعلمهم أخلاقَ الإسلامِ وأحكامَه ويربيهم على الفضيلةِ والكفِّ عن المحارم.

وقد بدأتْ الدعوةِ إلى الدينِ الجديدِ بشكلٍ سريٍّ في بادئ الأمر، لتجنبَ أذى الطغاةِ والمستكبرينَ من زعماءِ قريشٍ، فآمن كثيرٌ بهذه الدعوةِ بصمتٍ من دون الإعلانِ عن إسلامهم.

وشيئاً فشيئاً انتشرتْ تلك الدعوةُ بين أهلِ مكّةَ وباتَ المؤمنون كالمصابيحِ المنيرةِ تُضئُ بيوتَ قريشِ المظلمةِ وشوارعِها الموحشةُ.

وبعدَ ثلاثِ سنين من نزولِ الوحي، وتزايد عددِ المسلمين وانتشار خبرِ وجودِ نبيٍّ جديدٍ ودينٍ جديدٍ جاء النداءُ الإلهي للمصطفى قائلاً: (وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ) الشعراء/٢١٤، إذ أمَرَه الله ان يبدأ بدعوةِ عشيرتهِ الأقربين، ولتنفيذِ الأمرِ أقام المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم) مأدبة * دعا إليها أبناءَ عشيرتهِ وأعمامه.

* المأدبة: هي وليمة الطعام.

أمَرَ اللّٰه نبيه ان يبدأ بـدعوةِ عشيرتـهِ، ولتنفيذِ الأمرِ أقام المصطفى ﷺ مأدبـة دعا إليها أبـناءَ عشيرتـهِ وأعمامهِ..



وبعد انتهائِهم من الطعام طلبَ الرسولُ (صلى الله عليه وآله وسلم) منهمِ الدخولَ للإسلام، وبيّن لهم بأنه جاءَ لهم بخَيرِ الدنيا والآخرة، وأنَّ الله تعالى قد أمرَهُ أنَ يدعوهم إليه.

ثم سألهم: (.. فأيكم يؤازرني على هذا الأمر على أن يكون أخي ووصيي وخليفتي فيكم؟).

إلاّ أنَّ الحاضرين استهزؤوا به وسخروا من دعوتِه التي كررها ثلاثَ مراتٍ، ولم يستجب لطلبه غير علي بن أبي طالب عليه السلام وكان فتى صغيرا.

عندها قالَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم وسطَ دهشةِ الجميعِ وهو يشير لابن عمه عليٍّ عليه السلام: (هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم، فأسمعوا له وأطيعوا).

فقام الرجال يضحكون ويقولون لأبي طالب مستهزئين: (قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيعَ).

قالَ رسولُ الله ﷺ وهو يشير لابـن عمه عليٍّ عليه السلام (هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم، فأسمعوا له وأطيعوا)



لم ييأس النبيُّ (صلى الله عليه وآله وسلم) بعد هذه الحادثةِ، فبقي يدعو إلى تحرير الإنسان من الجهل والكفر والاستعباد، وواصل دعوته إلى الدينِ الجديدِ بصبرِ رجلٍ حكيم وقائدٍ حليم.

كانَ يستقبلُ معارضيه مبتسماً و يحاججهم بلطف؛ فإذا لبّوا دعوته كان ذلك خيراً، وإلاّ فإنه كان يطلب منهم أن يأتوا بمثلِ ما أتى به من القرآن (معجزته الخالدة) وتحداهم بما نزلَ عليه من كلام الله العزيز إذْ قالَ: (وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُواْ شُهَدَاءكُم مِّن دُونِ اللّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ❖ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ فَاتَّقُواْ النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ) البقرة/ 23-24.

فعرفَ الناسُ المعجزة وآمنوا بالنبي الصادق الأمين، وراحوا يدخلون في الإسلامِ، فخافت قريشُ على مصالحِها وأصنامِها، وشعرتْ بخطرِ الإسلام.

بقي النبي يدعو إلى تحرير الإنسان من الجهل والكفر والاستعباد، وواصل دعوته إلى الاسلام بصبرٍ رجلٍ حكيم



خـصَّ اللهُ الصـادقَ الأمـينَ بمعجـزاتٍ خارقة كثيرة منها معجزةُ الإسـراءِ والمعراج، عندما أسـرى فيها المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم) ليلاً وانتقلَ من مكةَ إلى بيتِ المقـدسِ برحلـةٍ تمـت بلمـحِ البصـرِ، إذ التقـى أنبيـاءُ اللهِ السـابقين فسـلم عليهم ووقفَ يصلي بهم في القدس.

ومـن ثـمّ عـرَّج المصطفـى من بيتِ المقدسِ إلى السـماواتِ العليـا وصعدَ إلى أماكنَ لم يصلْها احد من قبل، وشاهد آياتِ اللهِ الكبرى ومنها الجنة التي وعدَ الله المؤمنين بها، والنارُ التي أعدّها للكافرين.

وكان المصطفـى يركـبُ في تنقلِـه «الـبراق» وهـو مخلوقٌ سماوي سـخَّره تعـالى لنقـلِ المصطفى برحلتهِ هذه، وبعد هـذه الرحلةِ الفريدة عادَ (صلى الله عليه وآله وسلم) برفقـةِ جبرئيـل إلى الأرضِ في الليلـةِ نفسـها، وقـد اخـبرَ المصطفى قريشـاً بهـذه الحادثـةِ فلم يصدقوه، وكانوا يتهمونَهُ بالجنونِ.. وقد تحدّثَ القرآنُ عن هذهِ الحادثةِ ووصفَها في سورةِ الإسراءِ المباركة.



عرَّج المصطفى من بيتِ المقدسِ إلى السماواتِ العليا وصعدَ إلى أماكنَ لم يصلْها احد من قبل

انتشرَ خبرُ الدينِ الجديد كعطرٍ جميلٍ في أجواءِ مكةَ وما حولها، ووصلت إلى بعضِ النفوسِ الخيِّرةِ التي كانت تريدُ الحقَّ والخيرَ فآمنت، إلا أن أكثرهم كانوا من الطبقةِ الفقيرةِ ومن المستضعفين الذين وجدوا في الدينِ الجديدِ الإنصافَ، ولم يكنْ يملكُ هؤلاء القدرةَ على الدفاعِ عن أنفسِهم والوقوفِ بوجهِ الظالمين من أسيادِ قريشٍ الذين رفضوا هذا الدين وحاربوا كل من آمنَ به.

وقد طلب المشركون من أبي طالب أن يكفَّ ابن أخيه محمداً عن هذه الدعوة وعرضوا الكثيرَ من المغرياتِ من مالٍ وجاهٍ إن أجابَ طلبهم، فردَّ الصادق الأمين (صلى الله عليه وآله وسلم) قائلا: «يا عماه لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن اترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو اهلك فيه ما تركته» عند ذلك قال له عمُّه : « اذهب يا ابن أخي فقل ما أحببت، فو الله لا أسلمك لشيء أبدا» فكان أبو طالب من المساندين للدعوةِ الإسلاميةِ والمدافعينَ عن الرسولِ ضد طواغيتِ قريش.

طلب المشركون من أبي طالب أن يكفَّ ابن أخيه ﷺ عن هذه الدعوة وعرضوا كثيرا من المغرياتِ لكنه رفض ذلك



عاشَ النبيُّ محمدٌ (صلى الله عليه وآله وسلم) أياماً صعبةً أوذي فيها هو وعائلته ومَنْ آمن برسالتهِ، ونالَ ألوانَ العذابِ بسبب دعوتِه إلى الدينِ الجديدِ.

كان المشركون يتهمونَه بالجنونِ ويستهزؤون به، ويأمرون صبيانَهم أنْ يرمونَه بالحجارةِ والترابِ والرماد، وكانوا يسخرون منه ويعيرونَه بأنه (أبتر) لعدم وجود أولاد من ذريته.

إلا أنَّ الرسولَ رغمَ كلِّ هذا الأذى كان يحملُ في سريرتِه خبراً مفرحا، فقد بشَّرهُ اللّه بأنه سيرزقُ من زوجتِه الجليلة خديجةَ طفلةً سمّاها (فاطمة) لأنَّ اللّه يفطُم من يُحبها من النار، وكنّاها (بالزهراء) لِما تمتلكُه من وجهٍ منير مبارك.

وقدْ سماها اللّه تعالى بـ (الكوثر) في القرآن الكريم إذ قال: (إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ❖ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ❖ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ).

رزقَ النبي ﷺ من زوجتِه خديجةِ طفلةً سمّاها (فاطمة) وكنّاها (بالزهراء)



بعد ما عجزت قريشُ من إقناعِ المصطفى بتركِ الدعوة الى الإسلام، قرَّرَ المشركون شنّ حملةً شريرة علَى المسلمين، فبدؤوا بتعذيبِهم وقتلِهم وتشريدهم، فما كان للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) إلا أنْ أمرهم بالهجرةِ* بعيدا عن قريش، فاختارَ لهم الحبشةَ لأن فيها ملكاً عادلاً اسمه (النجاشي) يستطيعون العيشَ في ظله بسلام آمنين على أنفسِهم وعلى دينِهم.

وكان هذا بالفعلِ.. فقد هاجرَ المسلمون وعاشوا بحمايةِ الملكِ النجاشي وكان مؤمناً بدينِ النصارى(المسيحية).

ولما علمتْ قريشٌ بذلك خافتْ من أن يقوى عود الإسلام وتنتشر الدعوةُ الإسلاميةُ، فأرسلت لملكِ الحبشةِ الهدايا وطلبت منه تَسليمَ المسلمين، وكادَ الملكُ أن يستجيب لولا حديث ابن عمّ المصطفى جعفرِ بنِ أبي طالب وإخبارُه بالظلم الذي يمارسُ ضدهم لأنهم يعبدون الله وحده، فاقتنع النجاشي ورفضَ طلبَ الكفار وقال: كيف أسلمهم إليكم وقد اختاروا بلدي وجاوروني و لجؤوا إلي ولم يلجؤوا الى غيري؟

* الهجرة: هي الخروجُ والسفر من أرضٍ إلى أُخرى، سعيًا وراءَ الرزق، أو طلب الامان.

امر الرسول اتباعه بـالهجرة الى الحبشةَ لأن فيها ملكاً عادلاً اسمه (النجاشي) يستطيعون العيشَ في ظله بـسلام



لما رأت قريشٌ ثباتَ النبيِّ (صلى الله عليه وآله وسلم) ومن معه، ضاعفتْ من ظلمِها وزادتْ قسوتِها، وأعلنتْ المقاطعةِ ضدَّ بني هاشم عشيرةِ الرسولِ (صلى الله عليه وآله وسلم) وأهله الذين ناصروه وساندوا دعوتَه، من دونِ رحمةٍ لصغيرٍ أو كبيرٍ، فكتبوا صحيفة بهذا الأمرَ وافق عليها أربعون رجلاً من كبار قريش، وعلقتْ الوثيقةُ داخلِ الكعبة.

وبالفعلِ أُخْرِجَ الرسولُ وأقرباؤه من مكةً إلى (شعب أبي طالب)*، ووضعَتْ قريش عليهم الرقباءُ حتى لا يأتيهم أحدٌ بالطعام إلا سرا من قبلِ بعضِ المتعاطفين معهم أو الجشعين الذين كانوا يبيعونَهم الطعامَ بأغلى الأسعارِ.

وقد انفق أبو طالب وخديجة كلَّ أموالهم لمساعدة المسلمين، واستمرَّ هذا الحالُ قرابةَ ثلاث سنين أشتدَّ خلالَها الخَطبُ على المؤمنين، وراحوا يعانون من الجوعِ والأذى، وكان صراخُ الأطفالِ الجائعين يؤرِّقُ المشركين ويحرمُهم النوم.

* شِعب: هي مساحة من الأرض تقع عند جبل أبي قبيس (أحد الجبال المحيطة بمكة)

اخْرج المشركون الرسولُ وأقربـاؤه من مكةَ إلى (شعب أبـي طالب) ووضعَوا عليهم الرقباءُ حتى لا يأتيهم أحدٌ بـالطعام



أرسلَ اللهُ دودةَ الأرضةِ فأكلت صحيفةَ المقاطعةِ التي كتبتها قريش، وتركتْ اسمَ (اللّه) المكتوب في الصحيفة فقط؛ وأخبرَ المصطفى عمَّه أبا طالب بذلك؛ الذي تحدى بدوره قريشاً بهذه المعجزةِ برفعِ الحصارِ عنهم إن كان صادقاً، وإنْ كان خلافَ ذلك يسلِّمُ لهم محمداً ليَقتلوه.

وفي لحظة حاسمة كانت قلوبُ المشركين ترتعدُ من الخوفِ وصُعِقَ الجميعُ عندما شاهدوا الصحيفةَ التي وقعوها لم يبقَ منها شيئاً سوى كلمة (اللّه).. فأظلمت وجوه المشركين ذلاً بهذه الحادثة، وبإصرار مقيتْ أخذتْهم العزةُ بالإثم واستمروا بالمقاطعةِ والعملِ بالصحيفة، لتستمرَّ آلامُ بني هاشم حتى ماتَ بعضهم من الجوعِ والمرضِ، كان منهم أعزُّ الناسِ إلى قلبِ المصطفى وهما عمه (أبو طالب) وزوجته (خديجة) فسمى الرسولُ ذلك العام بـ (عام الحزن)، إلا أن كل ذلك الظلم لم ينلْ من عزيمةِ المسلمين وإصرارِهم، ففشل الحصارُ وأخفقَ المشركون في القضاء على الدين الإسلامي.

في شعب ابي طالب مات (أبو طالب) و(خديجة) في العام نفسه فسمى الرسولُ ذلك العام بـ (عام الحزن)



نور على نور

فقد النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) نصيراً قوياً بعد وفاة عمه أبا طالب، الذي دافع عن النبي(صلى الله عليه وآله وسلم)، وعن دعوته الإلهية بكل ما أوتي من قوة، وضحى من أجله بمركزه وماله، فاعتقدتْ قريشُ انَّه(صلى الله عليه وآله وسلم) سيضعفُ عزمهُ عن مواصلةِ جهودِه، بعد أنْ ماتَ ناصرُه، فنالتْهُ بأنواع الأذى مما عجزتْ عنه في حياةِ عمِّه العظيم، ووجدتِ الفرصةَ للتنفيسِ عن حقدِها، وصُبَّ غضبِها على ذلك الذي ترى فيه سبباً لكلِّ مشاكلِها ومتاعبِها. ورأت أنَّ الوقتَ قد حانَ للإعدادِ لهجوم نهائيٍّ للقضاءِ على المسلمين واغتيالِ النبيِّ محمدٍ(صلى الله عليه وآله وسلم) والخلاصُ منه نهائيًا.

وبالفعلِ كثّفتْ قريشُ من جهودِها للنيلِ من المسلمين، كما نفذت عددا من المحاولاتِ لاغتيالِ للنبيِّ(صلى الله عليه وآله وسلم)، لكن العنايةُ الإلهيةِ كانت تدفعُ عنه كيدَ الكافرين وتفشلُ سعيُهم في كل مرة.

كثّفتْ قريشُ من جهودِها للنيلِ من المسلمين، كما نفذت عددا من المحاولاتِ لاغتيالِ للنبيّ ﷺ



بعد أشتد اذى قريش وازدادت وحشيتها ضدَّ المسلمين بشكلٍ لا يحتمل.. ورأى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أنَّ الدعوةَ الإسلاميةَ تتعرض لضغوط قويةٍ تمنع من انتشارِها، قرر أن يعطي للدعوةِ دفعةً جديدةً، وأكثر قدرةً على مواجهةِ الأخطارِ المحتملةِ، فراحَ النبيُّ (صلى الله عليه وآله وسلم) يبحث عن ارض جديدةٍ يبلغ فيها دعوتهِ ويبشر برسالتِه بين القبائلِ علّه يجدُ الاستجابةَ او يحصلُ على التأييدِ والحمايةِ لأصحابه، فقصدَ الطائف وهي قريةٌ قريبةٌ من مكةَ تسكنُها قبيلةٌ اسمُها (ثقيفٌ) فعرضَ عليهم الدخولَ إلى الإسلام، إلا أنَّ ثقيفَ لم تقبلْ، بل على العكس فقد آذت الرسولَ (صلى الله عليه وآله وسلم) شرّ أذيةٍ، إذ جعلتِ السفهاءَ والصبيانَ يطاردونَه في طرقاتِ القريةِ و يرمونَه بالحجارةِ وهم يضحكون مستهزئين، حتى شجوّا رأسَه الشريفَ وسالَ دمُه الطاهرُ من صدرهِ ورجليه، فعاد مضطراً إلى مكةَ وهو يدعو بلوعةٍ وألمٍ: (اللهم إليك أشكو ضعف قوتي، وقلة حيلتي، وهواني على الناس).

لم تقبل قبيلة (ثقيفَ) دخول الاسلام وجعلتِ الصبيانَ يطاردونَ الرسول في طرقاتِ القريةِ يرمونَه بالحجارةِ



لم ييأسِ الرسولِ (صلى الله عليه وآله وسلم) بسببِ الأذى الذي مارسَه الكفارُ ضدَّه، وكان بذلك مثالا للتضحيةِ والصبرِ والثبات على الحق، وكان في كلِّ مرةٍ يبدأُ من جديد ويدعو للإسلام وينشر تعاليم الدينِ الحنيف مغتنماً الفرصةَ في مواسم الحجِّ؛ فيعرض علَى القبائلِ أن تعتنقَ الإسلامَ، بل كان لا يسمع بقادم إلَى مكة له اسمٌ وشرفٌ إلا دعاه إلى الإسلام، ولكنَّ عمَّه أبا لهب كان يتبْعَه أنّى توجه، ويعقّبُ على كلامِه، ويطلبُ منهم أنْ لا يقبلوا منه ولا يطيعوه في شيءٍ.

وكان الناسُ في الغالبِ يسمعون من قريش إما خشيةً من سلطانِها ونفوذِها، وإما حفاظاً علَى مصالحِهم في مكةَ، لا سيما في مواسم الحجِّ. ولكنَ الرسولُ (صلى الله عليه وآله وسلم) نجحَ بإقناعِ بعضِ القبائلِ العربيةِ التي تسكَن خارجَ مكةَ بدخولِ الإسلام، فقد استجابت لدعوتِه قبيلتانِ من اكبرِ قبائل مدينةِ (يثربٍ) هما (الأوس والخزرج) فبايعوا النبيُّ (صلى الله عليه وآله وسلم) سرا في مكانٍ قريبٍ من مكةَ يدعى (العقبة) خوفا مِنَ المشركين وأعلنوا إسلامَهم أمامَه وسُميت تلك البيعةُ بـ«بيعة العقبة».

بايعت قبيلتا (الأوس والخزرج) النبيَّ ﷺ في مكانٍ قريبٍ من مكةَ يدعى (العقبة) وسُميت تلك الحادثة بـ«بيعة العقبة»



أشـرقتْ كلمـةُ التوحيـدِ في ربـوعِ أهلِ يثربَ، ونمتْ عندهم شـجرةُ الإسـلامِ ونعِـم أهلُهـا بظلهـا الـوارفِ، ولهذه النعمـةِ التي خصَّهم اللّٰه تعـالى بها فقد سُميـت هـذهِ المدينةِ(مدينـة الرسـول) وسمـيَ أهلُهـا بـ (الأنصـار) ، وصـارت مركزا قويا للمسلمين بعدَ أن تبنوا حمايتَهم والدفاعَ عنهم، وأخذَ الصادقُ الأمـُين (صلى الله عليه وآله وسلم) يحـثُّ المسـلمينَ للهجـرةِ إليها تمهيـداً لخروجه إليهـا أيضاً، وقـال لهـم: «ان اللّٰه عـزَّ وجـل قـد جعل لكـم إخوانـا ودارا تـأمنون بهـا» وراحَ المسـلمون يهاجـرون أفرادا وجماعـاتٍ نحوَ المدينة المنـورة، مضحّين بوطنِهم وبعلاقاتهم وأموالهم في سبيلٍ دينِهم.

وكانـت الهجـرة تتـم بسـريةٍ بعيـدا عـن أعيـنِ قريـش، خوفا من بطشِـهم، ومـن جانـبٍ آخـر فـزعَ الكفّـارُ كأشـدّ ما يكـون الفـزعُ حينما شـاهدوا خلو دورِ المسـلمينَ مـن أهلِهـا بعـدَ أن هجرَهـا أهلُهـا، وعلمـوا ببيعةِ أهـلِ المدينةِ للنبي(صلى الله عليه وآله وسلم) وتعهدَهم بحمايتهِ.

كان النبي ﷺ يحثُّ المسلمينَ للهجرةِ الى يثرب ويقول لهم: «ان اللّه عزَّ وجل قد جعل لكم إخوانا ودارا تأمنون بها»



بعدَ أن أدرك مشركوا قريشٍ أنَّ هذهِ الهجرة الواسعة سوف تعقبها هجرةٌ للرسولِ الأعظم نفسِه ليمارسَ هدايةِ الناس بشكلٍ أوسعٍ، قرر كبار المشركين منعَ ذلك بأيِّ وسيلة.

وبالفعلِ خططَ المشركون لقتل الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بعد الهجوم على دارهِ وهو نائمٌ ليلاً، بأنْ يأخذوا من كلِّ قبيلة شاباً قوياً، ويعطى كل منهم سيفاً صارماً، ويدخلوا على النبيِّ (صلى الله عليه وآله وسلم) ليلاً فيضربونَه ضربةَ رجلٍ واحدٍ، فيقتلونَه ويضيع دمُه بين القبائل، فلا يعلم أحد أي قبيلة مسؤولة عن قتله فيصعب على بني هاشم الطلب بثأره.

الا انَّ الله عزَّ وجل أخبَر نبيَه بهذه المؤامرة عن طريق الوحي، ونزل قولُه تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللّهُ وَاللّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ (الأنفال/30).



خططَ المشركون لقتل الرسول ﷺ بعد الهجومِ على دارهِ وهو نائمٌ ليلاً

وفي ليلةٍ حالكةِ السوادِ اجتمعَ المشركون الذين ارسلتهم قريشٌ وهم ينتظرون طلوعَ الصبحِ لتنفيذ خطتهم الشيطانيةِ ويقتلوا النبيَّ (صلى الله عليه وآله وسلم) بضربةٍ واحدةٍ بسيوفِهم.

وبمعجزةٍ باهرةٍ وفي منتصفِ الليلِ خرجَ المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم) من دارِه من دونِ أنْ يراهُ أحدٌ تاركا مكانه الإمامَ علياً «عليه السلام».

خرجَ (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو يقرأُ هذه الآية: (وَجَعَلْنَا مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدّاً وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدّاً فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لاَ يُبْصِرُونَ) (سورة يس/9) فما شعروا به، وسار إلى غارِ ثور.

ولما قررَ المشركون ان ينفذوا جريمتهم بادروا على الفورِ بالهجوم على دارِ المصطفى شاهرين سيوفَهم، وما انْ كشفوا الغطاء عن الشخص النائم حتى فوجئوا بوجودِ الامام عليٍّ (عليه السلام) في الفراشِ وهو يفتدي المصطَفى (صلى الله عليه وآله وسلم) بنفسِه مرضاةً للهِ وطاعةً لرسوله، وقد ذكر الله تعالى تضحيته العظيمة هذه في القرآن الكريم إذ قال: (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاء مَرْضَاتِ اللّهِ وَاللّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ) (سورة البقرة/207).

فوجئ المشركون بوجودِ الامام علياً عليه السلام في الفراشِ وهو يفتدي المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم بنفسِه



انطلق المشركون بسرعةٍ خلفَ الصادقِ الأمين(صلى الله عليه وآله وسلم) للّحاقِ به وتنفيذِ جريمةِ قتلِه.. لكن دون جدوى فقد عادوا خائبين بعدما يئسوا من إيجاده، وكان النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) قد التجأ إلى مغارةٍ في أحدِ الجبالِ المحيطة بمكةَ وتوارى فيها عن الأنظارِ لمدةِ ثلاثةِ أيامٍ وكان يترددُ عليه الإمامُ أميرُ المؤمنين وكان قد أوصاه أن يؤدي أماناتِه على أعين الناس كما أوصاه بالفواطم*. وكانت قريشُ تستشيط غضبا لفقدِها أثرَ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فقدَّمت جائزةً كبيرةً لكلِّ من يأتيهم بخبرِه، وقد أغرت هذه الجائزةُ رجلا اسمه سُراقةَ كان خبيراً بطرقِ الصحراء، وبالفعلِ استطاعَ أن يعثر على الرسول، لكن اللّه جعل أرجلِ فرسِ سراقة تغورُ في باطنِ الأرضِ فلم يستطعُ الحركةَ، فاستنجدَ برسولَ اللّهِ وطلب منه العفو، فأنقذه المصطفى وعاد سراقةُ نادما إلى قريش، وواصلَ المصطفى(صلى الله عليه وآله وسلم) رحلتَه نحو المدينة.

❖ الفواطم: هم فاطمة بنت الرسول، وأم الامام علي فاطمة بنت أسد بن هاشم، وبنت عم الرسول فاطمة بنت الزبير بن عبد المطلب، وتبعهم أيمن ابن أم أيمن مولى رسول اللّه «صلى اللّه عليه وآله»، وأبو واقد، فجعل يسوق بالرواحل فأعنف بهم.

واصلَ المصطفى محمد ﷺ رحلتَه نحو المدينة بعد أن انجاه الله تعالى من كيد المشركين



بعد أنْ فرغَ الإمامَ علي (عليه السلام) من أداءِ الأماناتِ التي كانت بعهدة الرسول ﷺ في مكة، خرجَ بفاطمةِ الزهراء وأمه فاطمةَ بنتَ أسد وفاطمةَ بنتِ الزبير وآخرين أمام أنظار قريش من دونَ خوفٍ متوجها نحو منطقةٍ أسمُها (قباءُ) للقاءِ الرسولِ (صلى الله عليه وآله وسلم) الذي كان ينتظره هناك، فلم يحبْ المصطفى ان يدخلَ المدينة من دونَ ابن عمّه عليٍّ(عليه السلام)، وكان أهلُ المدينةِ من شيوخٍ ورجالٍ ونساءٍ واطفالٍ يراقبون الطريق بانتظارِ ركبِ المصطفى القادمُ من مكةَ، وكان الشوقُ لرؤيةِ وجهِ المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم) يملأُ صدورَهم، حتى بانتْ علاماتِ الفرجِ بعد انْ وصل ركبُ النبيِّ، فتعالتِ الهتافاتُ فرحا بهذا الوصولِ المباركِ، لتتواصلَ بعدها أفراحُ المسلمين ببناءِ المسجدِ النبويِّ، وكما اعتادتِ العربُ على توثيقِ أحداثِ التاريخ نسبةً إلى حدث عظيم، فقد ابتدأَ التاريخُ الهجري للمسلمين بمناسبةِ هجرةِ النبيِّ (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى المدينةِ المنورةِ*.

❖ كانت المدينة المنورة قبل الهجرة تسمى (يثرب) وقد نهى الرسول عن تسميتها بذلك لان معنى يثرب يأتي من التثريب الذى هو التوبيخ والملامة أو من الثرب وهو الفساد، وكلاهما اسم قبيح، وكان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يحب الاسم الحسن ويكره الاسم القبيح.

بـانتْ علاماتِ الفرجِ بـعد انْ وصل ركبُ النبيّ ﷺ فتعالتِ الاصوات فرحا بـوصوله



بُعِثَ الصادقُ الأمينُ (صلى الله عليه وآله وسلم) رحمةً للعالمين، فكان معلما ورسولا، ومتمما لمكارم الأخلاق، لذا كانت أولى أعماله في المدينة هو بناءُ مسجد ليكون مدرسةَ الإسلام الأَولى، حيثُ تقام فيه الصلاةُ ويُتلى القرآنُ ويتعلّمُ فيه المسلمون أحكامَ الدين ومكارمَ الأخلاق، بالإضافة الى أنه (صلى الله عليه وآله وسلم) آخى بين المهاجرين والأنصار، بأنْ يتخذَ كلُّ مهاجرٍ أخا له من أهلِ المدينة، واختارَ (صلى الله عليه وآله وسلم) من بين المسلمين الامام علياً (عليه السلام) ليكونَ له أخاً ووزيراً.

لقد مثلتْ هذه المرحلةُ مرحلةً جديدةً انتقلتِ الدعوةُ فيها إلى مرحلةِ تطبيقِ الإسلام، ومحوِ كلِّ آثارِ الجاهليةِ. وقد سكن المسلمون حولَ المسجدِ وكانت أبوابُ بيوتِهم تفتحُ عليه، فأمرَ المصطفى بعد مدة بإغلاقِ هذه الأبواب ما عدا بابَ بيت علي (عليه السلام) فضيلةً له، وكان يقول له (صلى الله عليه وآله وسلم): يا علي، أنت أوّلُ هذه الأمةِ إيماناً باللهِ ورسولِه، و أولُهم هجرةً إلى اللهِ ورسولِه، وآخرُهم عهداً برسولِه، لا يحبُّك والذي نفسي بيده إلا مؤمنٌ قد امتحنَ قلبه للإيمانِ ولا يبغضُك إلا منافقٌ أو كافرٌ.

اختار النبي ﷺ من بين المسلمين الامام عليا عليه السلام ليكونَ له أخاً ووزيراً في يوم المؤاخاة



المواجهة

عاشَ المسلمون أياماً سعيدةً في مدينةِ رسولِ اللهِ(صلى الله عليه وآله وسلم)، وكانت الفرحةُ تملأ قلبه وهو يرى المسلمين من حولِه متآخين متحابين يعملون بجدٍ لكسبِ رزقِهم والعيشِ بكرامة، بعدَ أيام صعبةٍ تعرضوا فيها للظلمِ والعذابِ من كفارِ قريش.

وعلى الرغم منَ هذه الأجواء السعيدةِ التيَ عاشها المسلمون في المدينة المنوّرة، إلا أن الخطر كان يهددهم من جهات عدةٍ.

فأولُّ مشكلة التي واجهتْ المسلمينَ في المدينةِ هي وجودُ المنافقين الذين يظهرون الإسلام على ألسنتهم ويخفون الكفرَ في قلوبِهم، بالإضافةِ إلى اليهودِ الذين بدأ القلقُ يدبُ في نفوسهم و أيقنوا بالخطرِ على مصالحهم، فكانوا يبثُّون الفتنَ بين صفوفِ المسلمين لإضعافِهم. وكانوا يقولون إنَّ المسلمين يتبعون ديننا لأنهم يتجهون بالصلاةِ نحوَ بيت المقدس، حتى جاء الأمرُ الإلهي بالتوجه نحوَ الكعبةِ المشرفةِ، فقال الله تعالى: (قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا) (البقرة/ 144).

كان اليهود في المدينة يبثُّون الفتنَ بين صفوفِ المسلمين لإضعافِهم



بسببِ موقعِ المدينةِ المهمِّ على مقربةٍ مِن طريقِ القوافلِ المتجهِ إلى الشام، علم الرسولَ أنَّ قافلة كبيرة لقريشٍ يقودُها أبو سفيان عائدة من الشامَ نحوَ مكةَ، ومن أجلِ مواجهةِ قريشٍ وأضعافِها، خرج الرسولُ (ﷺ) برجالهِ لاعتراضِ القافلة .

وقد كادت الخطةُ أن تنجحُ لولا أن أبا سفيان علم بالأمرَ وسارع بتغييرِ مسارِ القافلةِ وهَرَبَ بعيدا وسطَ الصحراء.

ولما عَرَفَ كبار مشركي قريشٍ بالامر وجدوا أن الفرصةَ مواتيةً لقتالِ الصادق الأمين (ﷺ) وتحقيقِ حلمهم بالخلاصِ منه نهائيا.

فجهزوا لذلك جيشا كبيرا يزيد على ألفَ مقاتلٍ من بينهم سادةُ قريشٍ وأقوى فرسانِ العربِ ممن عُرِفَوا بفنون الحربَ.

علم أبو سفيان بأن المسلمين يريدون مهاجمة قافلته فأمر اتباعه بتغييرِ مسارِ القافلةِ والهربُ وسطَ الصحراء



على الرغم من رفضِ المصطفى(صلى الله عليه وآله وسلم) للقتالِ وإراقةِ الدماء، إلا انُّه كان يقفُ ومن معه من المسلمين بوجهِ المعتدين ويقاتلون بشجاعة عندما يقترِبُ من الإسلام خطرٌ، كما أن النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) لم يكن يتّخذَ قراراً في الحرب إلّا أنْ يأذنَ اللّه تعالى له بذلِك.

وبالفعلِ جاءَ الأمرُ الإلهي: (أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ) (الحج/39).

وفي اليوم السابعَ عشرَ من شهرِ رمضان سارت قريشُ إلى وادي بدرٍ لملاقاة المسلمين فلما نظرَ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى كثرةِ المشركين وقلةِ المسلمين، استقبلَ القبلةَ وقال: (اللهم أنجِز لي ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تعبد في الأرض) وبالفعلِ استجابَ اللّه عزَّ وجلَّ دعاءَ الصادقِ الأمين، فاستطاعَ المسلمون على قلةِ عددِهم هزيمةِ المشركين الذي يفوقُهم أضعافاً مضاعفةً عدةً وعدداً، وكان سيفُ الإمام علي(عليه السلام) (ذو الفقار) من ابرز السيوف التي أبلت بلاء حسنا بالدفاع عن الإسلام والمسلمين في معركة بدر.

كان سيفُ الإمام علي عليه السلام من ابرز السيوف التي أبلت بلاء حسنا بالدفاع عن الإسلام والمسلمين في معركة بدر



كان زواج الامام علي(عليه السلام) من السيدة الزهراء(عليها السلام) من أكثر الأشياء السعيدة التي فرح بها المسلمون بعد فرحة انتصارهم في معركة بدر، وكان الصادق الأمين (صلى الله عليه وآله وسلم) تغمره السعادة وهو ينظر إلى بيته المبارك ينمو بهذه الأسرة التي أذهب الله عنها الرجس وطهرها تطهيرا، إذ قال الله تعالى فيهم: (إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا) (الأحزاب/ 33).

وقد سأل المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم) ابنته الزهراء عن زوجها فقالت: يا أبه خير زوج إلا إنه دخل عليّ نساء من قريش وقلن لي: زوّجك رسول الله من فقير لا مال له. فقال لها (صلى الله عليه وآله وسلم) يا بنية: .. ما أبوك بفقير ولا بعلك* بفقير، ولقد عرضت عليّ خزائن الأرض من الذهب والفضة فاخترت ما عند ربي عزوجل، يا بنية: .. لو تعلمين ما علم أبوك لسمجت** الدنيا في عينيك.. والله يا بنية: .. ما ألوتك نصحاً*** أني زوجتك أقدمهم سلماً وأكثرهم علماً وأعظمهم حلماً، يا بنية: إن الله عزوجل اطلع إلى الأرض إطلاعه فاختار من أهلها رجلين: فجعل أحدهما أباك والآخر بعلك.

*البعل: الزوج

** سمجت: صارت قبيحة

*** ما ألوتك نصحا: آليت : توانيت وأبطأت، أي لا أفتر ولا أقصر ولم ندع جهدا في النصح.

كان الصادق الأمين ﷺ تغمره السعادة وهو يزوج الامام علياً عليه السلام من ابنته فاطمة الزهراء عليها السلام



كانت معركة بدر معركة كبيرة وحادثة مهمة وحاسمة، فقد قضت على تكبّر المشركين وغرورهم، وحققت العزةَ للمسلمين، كما كانت هزيمةُ المشركين في معركةِ بدرٍ درساً قاسياً لهم، إذ قُتلَ منهم سبعون رجلاً وأسرَ مثلُهم من بينهم كبارُ أشرارِهم مثلٍ: (أبي جهل وأمية وعتبة وغيرهم)، وقد قُتلَ أغلبُهم بأيدي المهاجرين، وبالتحديدِ على يدِ أهل بيتِ النبي(صلى الله عليه وآله وسلم)، وبالذاتِ على يدِ علي (عليه السلام) حتى سمّاه الكفار يوم بدر بـ (الموت الأحمر) لعِظم بلائهِ ونكايتِه بهم، ولبلائه الحسنِ ذاك وعظمِ جهادهِ نادى جبرائيلُ بين السماءِ والأرضِ: لا فتى إلا علي..لا سيفَ إلا ذو الفقار.

لذا شعرت قريشٌ بالغضبِ وأخذَ زعيم الكفار (أبو سفيان) يعدُّ العدةُ للثأرِ والانتقام من المسلمين، فأعدّ جيشاً كبيراً رافقتْهُ حتى النساءُ اللاتي كنَّ يضربنَ الدفوفَ ويتغنين بالأشعارِ لتحريض الرجال على القتالِ، فتهيأَ المسلمون للدفاعِ عن الإسلامِ وخرجوا لملاقاةِ المشركين عند جبلِ أحدٍ، فالتقى الجيشان في معركةَ (أحد).

تهيأَ المسلمون للدفاعِ عن الإسلامِ وخرجوا لملاقاةِ المشركين، فالتقى الجيشان في معركة (أحد)



قاتلَ المسلمون في معركة أحد قتالَ الأبطال، دفاعاً عن دينِهم، يتقدمُهم في ذلك الرسولُ الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) بعد أنْ نظَّمَ الصفوفَ وجعلَ لكلِّ مجموعةٍ مهامَها، فوضعَ مجموعةً من الرماةِ على الجبلِ لحمايةِ ظهرِ المسلمين وأوصاهم بعدمِ تركِ هذا المكانِ بأيّ حالٍ من الأحوال.

بدأتِ المعركةُ برشقِ الكفار لجيشِ المسلمين بالنبال، فهجم المسلمون على كتائبِ المشركين بكلِّ بطولة، ومن ثمَّ طلبَ حاملُ لواءِ المشركين طلحةُ بنُ أبي طلحة المبارزة، وكان من شجعانِ العرب، فخرج إليه عليٌّ(عليه السلام) فقاتله حتى قتلَه، ففرح رسولُ اللّهِ(صلى الله عليه وآله وسلم) بذلك وكبَّرَ تكبيراً عالياً.

وبعد ان قتل طلحة حامل لواء المشركين، حمَلَه عثمان بن أبي طلحة فقُتِل ايضاً، ثم أبو سعيد أخوه، ثم مسافعُ؛ ثم كلابُ بن طلحةَ بن أبي طلحة، ثم أخوه الجلاسُ، ثم أرطأةُ بنُ شرحبيل، ثم شُريحُ بنُ قانط، ثم صوّابُ.. حتى قيل أنَّهم أحدَ عشرَ رجلاً حملوا لواء المشركين لكنهم قُتلوا جميعاً على يدِ الامام علي (عليه السلام)؛ وبقي لواؤهم مطروحاً على الأرضِ حتى أخذتْه إحدى نسائهم، فانكسرت بذلك معنوياتِ جيشِ الكفارِ وانهارت صفوفهِم.

قتل الامام عليٌّ عليه السلام حامل لواء المشركين ففرح رسولُ اللّهِ صلى الله عليه وآله وسلم بـذلك وكبَّرَ تكبيراً عالياً



اقتتلَ الجيشانِ في أحُدِ قتالاً شديداً، وبدا على جيشِ المشركين الانكسارُ والانهيارُ، ولما شاهدَ رماة المسلمين ذلك تركوا مواقعَهم مخالفين أوامرَ رسولِ الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ظناً منهم أن المعركةَ انتهت، فاستغلَّ فرسانُ المشركين بقيادةِ (خالد بن الوليد) ذلك، والتفوا على الجبل وهاجموا المسلمين من الخلف.

دبّت بين صفوفِ المسلمين الفوضى بسببِ تلك المفاجأةِ، حتى أشيعَ أنَّ المصطفى(صلى الله عليه وآله وسلم) قد قُتِلَ؛ فازدادَ المشركون جرأة، وهجموا على المسلمين حتى انهزم اغلبهم، وثبت علي(عليه السلام) مع عدد قليل من الاشخاص وبقوا يدافعون مع الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم).

وأستشهدَ عمُّ الرسولِ (حمزة) (عليه السلام). وكانت نساء قريش وبحقدٍ جاهلي يمثّلن بشهداءِ المسلمين بقطعِ الأنوفِ وجدعِ الآذانِ وسَملِ العيونِ وقطعَ الأصابعِ وبقرَ البطونِ.



التف فرسانُ المشركين بقيادةِ (خالد بن الوليد) على الجبل وهاجموا المسلمين من الخلف

لم تتوقفْ محاولاتُ قريشٍ للقضاء على المسلمين، وكانوا دائما يعدّونَ العدةَ لمعركةٍ تقضي عليهم نهائياً، فقرر ابو سفيان بمشورةِ اليهودِ إعداد جيشٍ كبيرٍ تتحالفُ فيه قبائلُ الجزيرةِ العربيةِ، وبالفعلِ نجحت المهمةُ وبلغَ تعدادُ جيشِ أحزابِ الكفرِ عشرةَ آلافِ مقاتلٍ، توجّه على الفورِ نحو مدينةِ رسولِ الله(صلى الله عليه وآله وسلم) لغزوِها.

من جانبٍ آخر تهيأ الرسولُ(صلى الله عليه وآله وسلم) لصدِ هذا الغزوِ بعد أنْ وصلتْهُ أنباءُ زحفِ جيشِ الكفارِ، وكما اعتادَ(صلى الله عليه وآله وسلم) مشاورةَ أصحابه في الحربِ، قال: أنبرزُ لهم من المدينةِ أم نكونُ فيها ونخندقها علينا أم نكونُ قريباً ونجعلُ ظهورَنا إلى الجبلِ؟

فاختلفوا.. فقال سلمانُ: يا رسولَ الله إنا إذ كنا بأرضِ فارس وتخوفنا الخيلَ خندقنا علينا، فهل لك يا رسولَ اللهِ أنْ نخندق؟ فأعجَبَ رأيُ سلمانَ المسلمين، وأحبوا الثباتَ في المدينةِ، وأمرَ الرسولُ بتنفيذِ الفكرةِ فوراً، وتم حفر خندقٌ حولَ المدينةِ من الجهةِ المكشوفةِ منها، وعندما بدأوا بحفرِ الخندقِ أخذَ الأنصارُ والمهاجرون يتنافسون على سلمان، فكلٌّ يقول سلمانُ منا، فقال لهم الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم): (سلمانُ منّا أهل البيت).

أخذَ الأنصارُ والمهاجرون يتنافسون على سلمان فكلٌّ يقول سلمانُ منا، فقال لهم الرسول ﷺ: (سلمانُ منّا أهل البيت)



ولما وصلَ جيشُ الكفارِ بعددهِ الذي يتجاوز عشرةَ آلافِ مقاتلٍ الى المدينة تفاجأوا بوجودِ خندقٍ كبير حولَها يمنعُ تقدمَهم نحو المسلمين، وهم الذين كانوا يمنّونَ النفسَ بحربٍ سريعةٍ تحققُ طموحاتِهم وترضي غرورَهم وتقضي على المسلمين نهائياً، فاضطرَ المشركون لحصارِ المسلمين لمدة شهر، وبددَ هذا الوقتُ الطويلُ حماسِهم وشعورِهم بالقوةِ.

فقرَّرَ فرسانُهم اقتحامَ الخندقِ منهم عمرو بن عبدِ ودٍ وكان من أشجع فرسانِ العرب، وكان مدجّجاً بالسلاحِ وكأنه قلعةٌ على ظهرِ جواد، وهو يتحدى المسلمينَ ويطلبُ مبارزاً منهم للقتال.. ولم يلبِّ دعوة عمرو إلا بطلُ الإسلامِ عليٌّ(عليه السلام) ودارتْ بينَ الاثنينِ معركةٌ عنيفةٌ انتهت بقتلِ عمرو على يد عليٍّ بن أبي طالب (عليه السلام) فكبَّرَ وكبَّرَ المسلمونَ من بعدهِ فرحاً بالنصر. وقال الصادق الامين عند ذاك: «لمبارزةُ علي بن أبي طالب لعمرو بنِ عبدِ ودٍ أفضلُ من عملِ أمتي الى يومِ القيامةِ».

وبمعجزةٍ باهرةٍ أرسلَ اللهُ على المشركين ريحاً عاصفةً قلعتْ خيامَهم وأكفَأَت قدورَ الطعام، وشتتْ جيشَهم، وأصابتْ الكفارَ خيبةٌ كبيرةٌ قرروا بعدها الهروبَ مهزومين والانسحابَ ليلاً دون أنْ يراهم أحدٌ.. وانتصرُ المسلمون بفضلٍ منَ اللهِ.

قال ﷺ: «لمبارزةُ علي بن أبي طالب لعمرو بنِ عبدِ ودٍ أفضلُ من عملِ أمتي الى يومِ القيامةِ»



انتهتْ حربُ الأحزاب (الخندق) التي كان المسلمون فيها يعانون من الجوعِ والسهرِ والخوف من مهاجمةِ نسائهم واطفالهم، وشعروا بالراحة حين رأوا عدوُّهم يغادرُ أرضَهم خائباً خائفاً خاسئاً.

ولكنَّ هل يمكنُ لهم أنْ يطمئنوا على مصيرِهم ومستقبلِهم وإلى جوارِهم أولئك الذين حزّبوا الأحزابَ وتآمروا ضدَهم ونقضوا عهودَهم؟

لذلك جاء الأمرُ الإلهي يأمر الصادقَ الامينَ(صلى الله عليه وآله وسلم) بالسيرِ نحو يهود بني قُريظةَ الذين كانوا السببَ في كلِّ ما حصل، فنادى النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) عليّا(عليه السلام) قائلاً: (يا كتيبةَ الإيمان) وأعطاهُ رايةَ المسلمين ليتقدَّمَ نحو حصون اليهود، فخرجَ إليه شجعانُهم للقتالِ فقتلوا جميعهم، ثم هربَ الباقون نحو حصونِهم فحاصرهم المسلمون من كلِّ جانبٍ وأمطروا عليهم النبالَ، ولما شعرَ اليهودُ بالخطرِ حاولوا التفاوضَ مع الرسولِ(صلى الله عليه وآله وسلم)، ولأنه يعرفُ مكرَهم ونقضِهم للعهودِ لم يقبل إلا باستسلامِهم، وبالفعلِ استسلمَ اليهودُ مكرهين وانزلَ الله حكمَه العادلِ بهم، وفُتِحَت ديارُهم للمسلمين وكان درساً قاسياً لكلِّ من تسوِّلُ له نفسُه محاولةَ النيلِ من المسلمين أو يتآمرَ ضدَّهم.



هربَ اليهود نحو حصونِهم فحاصرهم المسلمون فيها من كلِّ جانبٍ

التحدي

كان المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم) قد رأى في منامه: أنّه دخلَ مكةَ هو وأصحابُه آمنين، وأنه دخلَ الكعبة وأخذَ مفتاحَها.

فلما أخبرَ (صلى الله عليه وآله وسلم) أصحابَه بما رأى وأنه يريدُ دخولَ مكةَ استجابةً للأمرِ الإلهي لأداءِ العمرةَ فرحوا بهذه البشارةِ لشوقِهم العظيم لزيارةِ أمِّ القرى التي أخرجَهم منها زعماءُ الشركِ.

فتجهَّزَ الجميعُ للسفرِ وساقوا معهم الهدي* وقريبا من مشارفِ مكةَ ارسلَ المصطفى رسولا الى قريشٍ يخبرُهم انّه جاء للعمرةِ وليس للحربِ طالبا الدخولَ للمشاعرِ المقدسةِ.

في تلك الاثناءُ وفي مشهدٍ ملأَ قلوبَ المشركين رعباً من هيبتِه، كان المسلمون يتجمعون حول الصادقِ الأمين (صلى الله عليه وآله وسلم) للبيعةِ ومعاهدته على الاستقامةِ والوفاءِ والدفاع عن الاسلام وسميت تلك البيعة: (بيعة الرضوان) ذكرها القرآنُ الكريمُ بقوله تعالى: (لَقَدْ رَضِيَ اللّٰه عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا) (الفتح/ 18).

* هو ما يهدى من النعم قربة إلي الله في الحرم.. ولايكون إلامن الإبل والبقر والغنم.

كان المسلمون يتجمعون حول النبي ﷺ للبيعةِ والمعاهدةِ على الوفاءِ وسميت الحادثة (بيعة الرضوان)



وجدتْ قريشُ نفسَها أمامَ خياراتِ صعبة، لا تستطيعُ أنْ تتجرعَ مرارةَ أيٍّ واحد منها، فقد كان تحركُ المصطفى(صلى الله عليه وآله وسلم) نحو مكةَ بقصدِ دخولها تحدياً لهم واستصغارا لشأنهم.
وفي الوقت نفسه لم يكن لقريش طاقةَ على حربهم لأنها لم تستعدْ لذلك وتخشى الهزيمةَ فيها، ثم أنَّ العربَ يرون: أنَّ قريشاً، لا تملكُ الحقَّ بمنعِ أحداً جاء للحجِّ أو العمرة.
لذا لم يكن لزعماءِ قريشِ الا الصلحَ لحفظِ ماءِ وجوهِهم أمامَ العربِ، فأرسلوا شخصاً للتفاوضِ مع الرسولِ الأمينِ في منطقةِ تسمى (الحديبية)* لعقدِ اتفاقِ صلح مع المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم) وتطلب منه عدمَ الدخولِ الى مكةَ في هذا العام، على أنْ يعودَ لزيارتِها في العام المقبل من دونِ سلاحٍ، و اتفقوا أيضا على ايقافِ الحربِ بين المسلمين والمشركين لمدةِ عشرِ سنين.
وافق المصطفى على ذلك وكتبَ الامام علي(عليه السلام) بنودَ الصلح بخطِ يدِه، وكان حدثا عظيما للمسلمين نزلت فيه سورة الفتح على المصطفى(صلى الله عليه وآله وسلم) تبشرُه بهذا الفتح العظيم:
(إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُّبِيناً، لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ..) (الفتح/6).

* الحديبية بتخفيف الياء، تصغير حدباء، وهي اسم بئر أو شجرة، سمي باسمها المكان الذي تقع فيه، قرية قريبة من مكة، وفيها المسجد المعروف بمسجد الشجرة.

وافق المصطفى ﷺ على صلح الحديبية وكتبَ الامام علي عليه السلام بـنـودَ الصلحِ بخطِ يدِه



بُعِثَ المصطفى رحمةً للعالمين ورسولٌ الى الناس كافة، وبذلك قال سبحانَه وتعالى في القرآن الكريم: (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إلا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً).

فكان المصطفى ينشر دينَ الاسلام ويدعو الناسِ للدخولِ فيه، لينعموا ببركاتِه ويعمُّهم الخيرُ بسببه.

وقد أتيحت الفرصةُ للرسولِ(صلى الله عليه وآله وسلم) بعد صُلْحِ الحديبيةِ لتحقيقِ هذا الامرِ والتوسعِ بنشرِ الدعوةِ الى الاسلامِ، فبعثَ (صلى الله عليه وآله وسلم) سفراءَه بالرسائلِ الى الملوكِ في الحبشةِ ومصرِ وبلاد فارسِ والرومِ وغيرهم من الملوكِ والأمراءِ، وطلب منهم الدخولَ في دينِ الاسلامِ، وكتب لهم رسائل فصيحةٍ تبين لهم أن الغرضَ من الدعوةِ هو تحقيقُ السعادة للناسِ، وتوجيههم نحو الحياةِ الكريمةِ والطيبةِ، وليسَ القصدُ الاستيلاءَ على بلادِ الناسِ ولا قهرهم أو إذلالهم.

وإنه(صلى الله عليه وآله وسلم) كان يخبرُ من يكتبُ إليه: أنه لا يطلبُ منه شيئاً لنفسه، وإنّما هو مجردُ نذيرٍ له، يريدُ بإنذارِه هذا أنْ يحفظَ له عزَّتَه وكرامَته، وأن يجنبَه مزالقَ الخطرِ باتباعِ غير الدينِ الاسلامي الحنيف.

بعثَ النبي سفراءَه ﷺ بالرسائلِ الى الملوكِ والأمراءِ وطلب منهم الدخولَ في دينِ الاسلامِ



اختلفت استجابةُ الملوكِ لدعوةِ الرسولِ، فمنهم من قبلَ الدعوةَ ورحبَّ بها كالنجاشي ملكِ الحبشةِ والمنذر بن ساوى ملكِ البحرين والمقوقسِ ملكِ الاقباط في مصرَ الذي أخذَ الكتاب وجعله في حُقٍّ من عاج وختمَ عليه، وارسلَ جوابا لدعوةِ المصطفى(صلى الله عليه وآله وسلم) مع الهدايا وجاريتين كريمتين منهما مارية القبطية التي تزوجَها الرسولُ فيما بعد وأنجبت له أبراهيم.

في حين رفض ملوك آخرون دعوة النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) إنطلاقاً من طغيانِهم، كما فعلَ كسرى ملكُ فارس بتمزيقِ رسالةَ الرسول وطرد حاملِها.

في حين تردّدَ بعضهم الآخر بسبب وساوسَ شيطانيةٍ ومخاوفَ على ملكِهم، كهرقلِ ملك الروم الذي كان على دينِ النصرانيةِ، إذ وقفَ حائراً لأن نفسُه كانت تغريه بالسوءِ.

وما ان سمع كبيُر كهنةِ قيصر المعروف بـ(ضغاطر) برسالة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) حتى أسلم، ونادى في الناس معلنا ذلك مما أثارَ غضب بعضهم فقتلوه لأنه تركَ دين النصارى.

رفض كسرى ملكُ فارسٍ دعوةَ الاسلام وقام بتمزيقِ رسالةَ النبي ﷺ وطرد حاملِها



لم يعدْ في المنطقة جماعة تهدد المسلمين سوى يهودَ منطقةَ خيبر، الذين كانوا قادرين على تجهيزِ عشرةِ آلافِ مقاتلٍ، فضلا عن حصونِهم المنيعةِ التي يستطيعون التحصُّنَ فيها لمدة أشهرٍ طويلةٍ لقوتها وخزينِها الكبيرِ منَ المؤنِ والطعام.

الا انَّ اليهودُ كانوا يخشون المسلمين ويتحاشون المواجهة معهم، لأنَّهم يدركون أنَّ المصطفى(صلى الله عليه وآله وسلم) لا يخاف كثرةُ سلاحِهم أو قوة حصونِهم، وهم يعلمون انَّه خاضَ حروباً صعبةً مَنَّ اللّه عليه بالنصرِ فيها حتى أخضعَ قريشٌ للصلح، واستطاعَ ان يراسلَ ملوكَ الارضِ، ويدعوهم إلى الدينِ الحنيفِ واستجابَ كثيرُ منهم واعترفَ بنبوتهِ.

لذا سارعَ يهودُ خيبر للاتصال بقبيلة غطفانَ المشركة لطلبِ العونِ منهم في قتال المسلمين، فقدموا لهم عرضا مغرياً بان يجعلوا لتلك القبيلةِ كلَّ ثمارِ بساتينِ خيبر إذا ساندوهم في معركتِهم ضد المسلمين.

إلا انَّ تلك المحاولَة فشلت بعد أن سبقَهم الرسول وقدَّمَ العرض نفسه لقبيلةِ غطفانَ مقابلَ وقوفها على الحيادِ.

كان اليهودُ يخشون المسلمين ويتحاشون المواجهة معهم، لأنَّهم يدركون أنَّ المصطفى ﷺ لا يخاف قوتهم



عسكرَ جيشُ المسلمين قريباً من حصونِ خيبر ، لقتال اليهود الذين يبلغ عددُهم أربعةَ عشرَ ألفِ مقاتلٍ موزعين في حصونٍ منيعة متفرقة في بساتينِ خيبر .

فصار رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) يفتحها حصناً حصناً، وكان منْ أشدِّ حصونهم وأكثرُها رجالاً حصنٌ يسمى (القموص) أبدى فيه اليهودُ مقاومةً شديدةً، ولم تنجحْ كلُّ السرايا التي أرسلَها الرسولُ إليها لفتح حصنِها، فصعدَ المصطفى منبرَه وخطبَ في المسلمين خطبةً بليغةً قالَ فيها : (لأعطينَّ الرايةَ غدا رجلا يحب الله ورسولُه، يفتحُ الله على يديهِ، ليس بفرار).

وكان المسلمون ينتظرون بشوقٍ، وتمنى كلُّ رجلٍ منهم ان ينال هذا الشرفَ ويكونَ هو من يستلمُ رايةَ الرسولِ(صلى الله عليه وآله وسلم).. وفي الصباحِ قال رسولُ الله(صلى الله عليه وآله وسلم): ادعوا لي علياً، فدعوه وهو معصوبَ العينين من الرمدِ الذي اصابَه فمسحَ الرسولُ بماءِ فمِه الشريفِ على عينيه فشفي من مرضِه مباشرة، ثمَّ تولى رسولُ اللهِ(صلى الله عليه وآله وسلم) بنفسه إلباسه درعَه وتقليدَه سيفَه ذا الفقارِ. واعطاه الرايةَ وقالَ: (يا علي اكفني مرحب).. فحملَ علي(عليه السلام) الراية وتقدمَ نحو حصنِ خيبر.

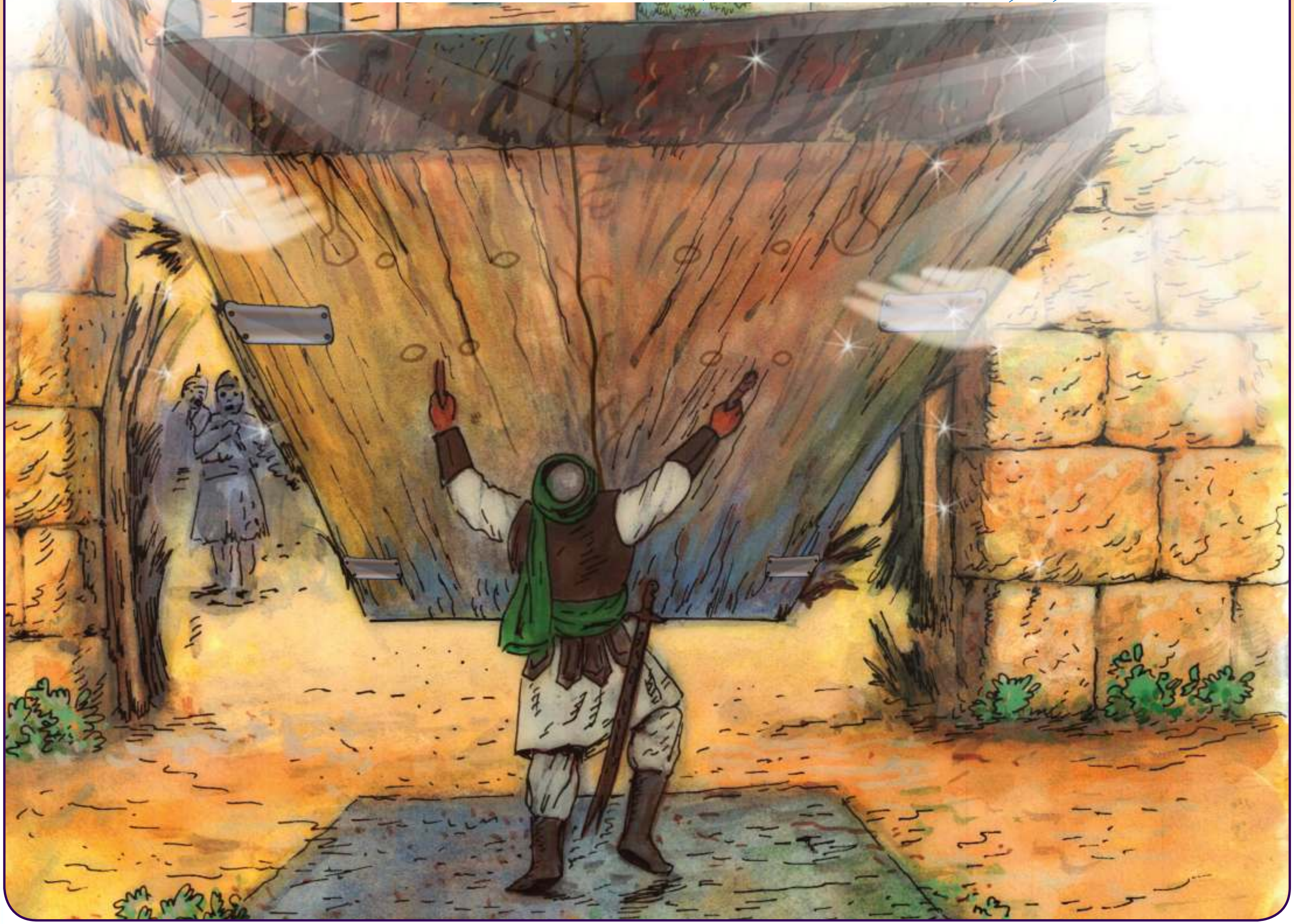
خطب المصطفى في المسلمين وقالَ: (لأعطينَّ الرايةَ غدا رجلا يحب اللّهُ ورسولُه، يفتحُ اللّهُ على يديهِ، ليس بفرار)



سار عليٌّ (عليه السلام) وسارَ المقاتلون خلفَه نحوَ حصنِ خيبر المنيع وكان فيه بابٌ ضخمةٌ مصنوعٌ من الحجرِ وجذوعِ النخيلِ، ولضخامةِ هذا البابَ كان لايُستطيع حملَه الا جماعةٌ من الرجالِ الاقوياء.. وعند ذلك البابِ اعترضَه «مرحبُ» أقوى فرسانِ اليهودِ وأشرسُهم وهو يتحدى المسلمين ويهزأُ بهم .. فتقدم اليه عليٌّ (عليه السلام) بقوةِ إيمانِه وقاتلَه قتالَ الأبطالِ حتى ضربَه ضربةً قويةً على رأسِه فسقط قتيلاً، وقتلَ أيضا باقي فرسانِ اليهودِ الذين كانوا معه، فانتشر الخوف بينَ الباقين، فهربوا نحوَ الحصنِ واغلقو بابه الضخم، وبقوة وبطولةِ لامثيلَ لها مدَّ عليٌّ (عليه السلام) يدَه نحوِ ذلك البابِ واقتلعَه من مكانِه، وكأسد غاضب دخلَ الحصن مع المسلمين ونالَ منهم حتى انكسرتْ مقاومةُ اليهودِ واستسلَموا وفرُّو مذعورين، وانهزمَ اليهودُ وفُتِحَ حصنُ خيبر على يدي الامام عليٍّ (عليه السلام) .

ولما بلغَ النبيُّ (صلى الله عليه وآله وسلم) فتحُ خيبرَ سُرَّ بذلك غايةَ السرور، فاستقبلَ علياً (عليه السلام)، واعتنقه، وقبَّل بين عينيه، وقال: (بلغني نبؤك المشكورُ، وصنعُك، رضي الله عنك، ورضيتُ أنا منك) فبكى عليٌّ (عليه السلام)، فقال له الرسولُ (صلى الله عليه وآله وسلم): ما يبكيك يا علي؟ فقال (عليه السلام): فرحاً بأن الله ورسولَه عليَّ راضيان.

مدَّ عليٌّ عليه السلام يدَه نحوِ بابِ حصن خيبر واقتلعَه من مكانِه ودخلَ الحصن مع المسلمين ونالَ من اليهود



كان الرسولُ (صلى الله عليه وآله وسلم) قلقا من خطرِ دولة الروم، ومتضايقاً جدا من طغيانِهم وغرورِهم، فقرَّر (صلى الله عليه وآله وسلم) غَزْوَهم ووضعَ حدٍّ لشرورِهم، ومحاولةِ نشرِ دينِ الاسلام في البلدان التي يسيطرون عليها.

جهّز رسولُ اللهِ (صلى الله عليه وآله وسلم) جيشاً يتألفُ من ثلاثةِ آلافِ مقاتلٍ، وعيّن زيدَ بن حارثة قائداً عليه وجعفرَ بن ابي طالب (عليه السلام) بديلا عنه -اذا قتل جعفر- وبديلاً ثالثا لهما هو الصحابيُّ الجليلُ عبدَ اللهِ بن رواحة.

انطلقَ المسلمون لملاقاةِ الرومِ الذين فاجؤوا المسلمين بتجهيزهم جيشا كبيراً يتكون من مئتي ألفِ جنديٍّ، وفي منطقةٍ تسمى (مؤته) اشتعلت حربٌ غير متكافئة، وصبرَ المسلمون وقاتلوا بحماسٍ على الرغم من قلة عددهم حتى استشهدَ كثيرٌ منهم وعلى رأسهم قائدُ الجيشِ زيدُ بنُ حارثةَ، وبديلُه جعفرُ بنُ ابي طالب(عليه السلام) الذي دافعَ عن رايةِ الاسلامِ حتى قطعت يداه، فأبدلَهُ اللهُ تعالى بجناحينِ يطيرُ بهما مع الملائكةِ في الجنةِ.

دافعَ جعفرُ بنُ ابي طالب عن رايةِ الاسلامِ حتى قطعت يداه، فأبدلَهُ اللهُ تعالى بجناحينِ يطيرُ بهما في الجنة



ضربَ المسلمون في معركةِ (مؤتة) أروعَ الأمثلةِ في الشجاعةِ والصبرِ، من جانبٍ آخرَ تتبَّعَ المشركون الأخبارَ عن بعد، وفرحوا كثيرًا بأنباءِ المعركةِ وما حصلَ فيها، وظنوا أن المسلمين أصبحوا ضعفاءَ بعد هذه المعركةِ، فأغار المشركون على إحدى قبائلِ المسلمين وقتلوا بعضاً من رجالِها استخفافاً بهم، فخرقوا بذلك اتفاقَ صلح الحديبيةِ الذي عقدوه مع المسلمين.

ورداً على تلك الاعتداءات، استعدَّ المسلمون لعقابِ المشركين بقوةٍ، فزحفَ عشرةُ آلافِ مقاتلٍ نحو مكةَ لتطهيرِها من الأصنام، وأدرك المشركون أنَّ مكةَ لن تصمدَ أمامَ قوةِ المسلمين الهائلة، وبعد مفاوضاتٍ بين النبيِّ(صلى الله عليه وآله وسلم) وأبي سفيان، استسلمَ أبو سفيان وأعلنَ إسلامَه مُكرهاً. وبعدِ دخولِ مكةَ، وقفَ رسولُ الله(صلى الله عليه وآله وسلم) ببابِ الكعبةِ وخطبَ في الناسِ قائلا: (لا اله الا الله، وحدَه وحدَه، أنجزَ وعدَه، ونصرَ عبدَه، وهزمَ الأحزابَ وحدَه...) ثم عفا عن اهلِ مكةَ وقالَ لهم: (اذهبوا فانتم الطلقاء).

زحفَ عشرةُ آلافِ مقاتلٍ نحو مكةَ لتطهيرِها من الأصنام



وهكذا دمرَ اللهُ قوةَ الشركِ والجاهليةِ، وحققَ النصرَ للمسلمين بصبرِهم وجهادِهم، ولكن كانت ذيولُ الكفرِ ما تزالُ في اطرافِ مكةَ متمثلةً بقبيلتي (هوازن) و(ثقيف) اللتين تسكنان الطائفَ القريبةَ من مكةَ، واللتين تعدان العدةَ لقتالِ الرسولِ (صلى الله عليه وآله وسلم). وفي (وادي حُنَين) التقى جيشُ المسلمينَ بجيشِ الكفارِ، ولكنَّ الغرورَ قد اصابَ نفوسَ المسلمين لانَّهم رأوا كثرتَهم وقوتَهم، وقد استاءَ الرسولُ (صلى الله عليه وآله وسلم) من هذا الشعورِ وخافَ عليهم من الهزيمةِ، وبالفعلِ فاجأ المشركون جيشَ المسلمين وكادوا أن ينتصروا على المسلمين الذين تفرقوا في الصحراءِ، لولا بسالةُ وثباتُ الرسولِ (صلى الله عليه وآله وسلم) ومعه الإمامُ عليٌّ (عليه السلام) وعددٌ قليلٌ من المؤمنين، ومن ثم عادَ الذين اصابَهم الغرورُ وفرَّوا من المعركةِ، فواصلوا القتالَ الى جانبِ اخوانِهم الثابتين، فتحقَّقَ النصرُ على آخرِ معاقلِ الكفرِ في جزيرةِ العربِ.


بانتصار المسلمين في معركة حنين سقطت آخرِ معاقلِ الكفرِ في جزيرةِ العربِ

وتمت النعمة

بعد ان حقَّقَ اللّهُ لنبيهِ النصرَ على قريشٍ وفَتَحَ مكةَ ودخل الناسُ في دينِ اللّهِ افواجاً، اتسعتْ دولةُ الإسلامِ واخذتْ تنافسُ اكبرَ دولتين في المنطقةِ هما: دولةُ الفرسِ في بلادِ فارس ودولةُ الرومِ في بلادِ الشام.

كان هرقل ملكِ الرومِ يخشى من انتشار دولة المسلمين بشكل بدأ يهددُ سلطتَه القائمةَ على الظلمِ، فاراد ان يهاجمَ المسلمين ويقضي عليهم، فعلم الرسولُ(صلى الله عليه وآله وسلم) بذلك فقرَّرَ ان يهجمَ على الرومِ قبل ان يبادروه بالهجوم.

وبالفعلِ تحركَ المصطفى بجيشٍ كبيرٍ وتركَ علياً(عليه السلام) خليفةً له في المدينةِ لحمايتِها وحفظِها، وكان الامامُ عليٌّ يرغبُ برفقةِ المصطفى في القتالِ، فقال له الرسولُ(صلى الله عليه وآله وسلم): (فارجع فأخلفني في اهلي وأهلك، اما ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي).

ولما وصلَ المسلمون الى (وادي تبوك) عسكروا فيه بانتظارِ جيشِ العدو، فخاف الرومُ من قتالِ المسلمين لما حققوه من انتصاراتٍ، فجاءَ رسلُ هرقلَ طالبين الصلحَ، فقبل الرسولُ(صلى الله عليه وآله وسلم) بذلك وعادَ الى المدينةِ منتصراً.

قال الرسول ﷺ للامام علي عليه السلام: (اما ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي)



مع مرورِ الوقت كانَ المسلمون يزدادون قوة، فقد حقَّقّ اللّٰهُ لنبيهِ النصرَ على قريشٍ وفُتِحَتْ مكةَ، ثم نصره في حُنَين، وهكذا الحال مع الروم عندما هزموا في وادي تبوك، لِيدْخلَ الناسُ في دينِ اللّٰهِ أفواجا، وأخذتَ وفودُ العربِ تأتي الى رسولِ اللّٰهِ(صلى الله عليه وآله وسلم) لتعلنَ إسلامَها.

ومن اجلِ تحقيقِ أوسعِ انتشارٍ لدينِ اللّٰهِ استمرَّ الرسولُ بتوجيه الكتبِ والرسائلِ الى الملوك والرؤساءِ يدعوهم الى الدخولِ في الإسلام، وكان ممَّن كتبَ اليهم اهلَ نجرانَ في اليمن، إذ كانوا على دينِ المسيح فاخذتهم العزةُ بديانتهم المحرّفةِ، فارسلوا الى المصطفى(صلى الله عليه وآله وسلم) وفداً من علمائهم ليناقشوا المصطفى في دينِ الاسلام ليكذبوه ويدافعوا عن عقيدتِهم المحرفة في النبي عيسى(عليه السلام) ويصرونَ على انَّه ابنُ اللّٰه، بخلاف ما جاءَ به القرآنُ الكريمُ: (وَقَالَتْ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللّٰهِ ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِؤُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللّٰهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ) (التوبة/30).

وأخذت وفودُ العربِ تأتي أفواجاً الى رسولِ اللّهِ ﷺ لتعلنَ إسلامَها



كان نصارى نجران يصرّون على شركهم، فانزلَ اللّه على نبيهِ آياتٍ عديدة تردُّ على كذبهم وتدعوهم إلى المباهلةِ، بأن يقفَ الفريقان ويدعوانِ اللّه تعالى بان ينزّلَ العذابَ على الفريق الكاذب، فقال تعالى: (فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَاءنَا وَأَبْنَاءكُمْ وَنِسَاءنَا وَنِسَاءكُمْ وَأَنفُسَنَا وأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةَ اللّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ) (آل عمران / 61) فوافقَ النصارى على ذلك.

وبكلِّ ثقةٍ خرجَ الصادقُ الامين(صلى الله عليه وآله وسلم) ومعه فاطمةُ الزهراءُ وعليُّ ابن ابي طالب وابنيه الحسن والحسين(عليهم السلام) ليبتهلوا إلى اللّهِ بأن ينزلَ عقوبتَه على الكاذبين، ولما رأى النصارى وجوهَ اهلِ بيتِ النبي(عليهم السلام) يفيض منها نورُ الحقِّ خشوا على انفسِهم من عذابِ اللّه، وتراجعوا عن المباهلةِ خائبين وطلبوا الاعتذارَ والصلحَ معَ الرسولِ(صلى الله عليه وآله وسلم)، وان يتركَهم على دينِهم بشرطِ أن يدفعوا مقابل ذلك الجزيةَ، وهي مقدارٌ من المالِ والثيابِ تدفع سنويا لبيتِ مالِ المسلمين.

خرجَ الصادقُ الامين(ﷺ) ومعه الزهراءُ وعليٌّ وابنيه ليبتهلوا إلى اللّهِ بأن ينزلَ عقوبتَه على الكاذبين



كان بقايا المشركين لازالوا يحجّون الى الكعبةِ المشّرفة لممارسة جاهلية اعتادوا عليها، إذ كانوا يمارسون هذا الطقسَ عراةً ويصفقون ويصفّرون.

ومع انتشارِ الاسلامِ ما كان لمثل هذا الأمر الجاهلي لأنْ يبقى على حالهِ من دون تغيير، وبالفعلِ جاءَ الامرُ الالهي ونزلتْ سورةُ التوبةِ التي أعلنت البراءةُ من المشركين، بمنعِهم من دخولِ مكةَ بعد هذا العام، فأوكلَ رسولُ الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى الإمام عليٍّ(عليه السلام) مهمةَ إبلاغ المشركين بذلك، فانطلقَ إلى مكةَ في وقتِ الحَجِّ، فنادى في الناسِ: (أيها الناس لا يدخل الجنة كافر ولا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان، ومن كان له عند رسول الله عهد فهو الى مدته).

وتلى عليهم من سورة التوبة قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلاَ يَقْرَبُواْ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا...)(التوبة/28)

وأصغى المشركون إلى هذا الاعلانِ بقلوبٍ ترتعدُ من الخوفِ.

نادى علي عليه السلام في مكة: (أيها الناس لا يدخل الجنة كافر ولا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان..).



لم يكنْ هـذا الإعـلانُ يُعجبُ المشـركين والمنافقـين الذيـن أظهـروا الإسـلام وأخفوا في قلوبهـم الكفرَ والحقدَ على النبيِّ (صلى الله عليه وآله وسلم) ودينـه، لذلك لم يكفّوا يوماً عن نَسجِ المكائدِ واختراعِ البدعِ منْ أجلِ تشويهِ الرسالةِ الإسلاميةِ للقضاءِ عليها.

ومـن جانـبٍ آخـر، استبشـرَ المؤمنون بـإعلانِ الرسـولِ (صلى الله عليه وآله وسلم) عزمُـه على زيارةِ مكـةَ لأداءِ فريضةِ الحجِّ، وسارعَ الجميعُ للالتحاقِ بالركبِ النبويِّ المتجه نحو البيتِ العتيق.

وفي الخامِـس والعشـرين مـن شـهرِ ذي القعدة تحركـتْ قافلةٌ عظيمةٌ تضـمُّ أكـثرَ من تسـعين ألفَ حاجٍّ، يتقدمُهم النبيُّ محمدٌ (صلى الله عليه وآله وسلم) وقد كان عمره سـتين عاماً يتبعُه أهلُ بيته (عليهم السلام) والمهاجرون والأنصار وما شاءَ الله من قبائلِ العربِ، تملأُ قلوبَهم السعادةُ بهذا اللقـاءِ، ويـؤدون فريضةً مهمةً من فرائضِ الرسـالةِ التي دعا اليها الصادق الامين (صلى الله عليه وآله وسلم) وينادون قرب الكعبة: لبيك اللهم لبيك لا شريك لك لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك لك لبيك لبيك لا شريك لك لبيك..

كان المسلمون مع النبي ﷺ ينادون بالتلبية لله سبحانه وهم يطوفون معه حول الكعبة



طاف الرسولُ(صلى الله عليه وآله وسلم) حول البيتِ العتيقِ سبعةَ أشواط، ثُمَّ صلّى خلفَ مقامِ إبراهيمَ(عليه السلام) وسعى بين الصفا والمروة ووقفَ فوقَ جبلِ الصفا.

ومع انتهاءِ موسم الحجِّ عادَ الحجيجُ إلى ديارِهم في رحلةِ سفرٍ متعبةٍ، يسرعون الخطى في طريقٍ تملؤه أشعةُ الشمسِ الحارقة.

وعند منطقة تسمى (غديرُ خم) حيثُ يفترقُ طريقُ القوافلِ نحو المدينة ومصرَ والعراق، نزلَ الوحيُّ على قلبِ المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم) يبلغُه بأمر الهي قائلا: (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ..)(المائدة/67)

فنادى منادٍ بأن يتوقفَ الجميعُ عن المسير وأن يرجع مَن تقدَّم من القافلةِ ويُلحقَ مَن تخلف بهم.

اجتمعَ آلافُ المسلمين حول المصطفى(صلى الله عليه وآله وسلم) الذي امرَ أصحابَه أن يهيئوا له منبراً ليخطب عليه.

اجتمعَ آلافُ المسلمين حول المصطفى ﷺ الذي امرَ أصحابَه أن يهيئوا له منبراً ليخطب عليه



تساءل الناس عن سببِ التوقفِ، إذْ لم يكنِ المكانُ مكانَ استراحة، فالجوّ حارٌ جدّا حتى ان الرجلَ ليضعَ بعضاً من ردائه على رأسه وآخرَ منه تحت قدميه ليتقي اذى الحر، وعلمَ الجميعُ أن أمراً عظيماً يدورُ في خلدِ الرسولِ محمد(صلى الله عليه وآله وسلم)، فماذا يريدُ أن يقولَ في مثل هذا المكان وبمثل هذه الساعة..؟

صعد الرسولُ الأكرمُ(صلى الله عليه وآله وسلم) على ذلك المنبرِ وخطبَ بالناسِ خطبةً بليغةً طويلةً اخبرَهم فيها انه سيرحلُ عن هذه الدنيا عن قريب وامرَهم ان يتمسكوا بدينِهم ويطبقوا احكامَه، ثم سألهم قائلا: (أيُّها الناسُ، ألستم تعلمون أنَّ اللّه عَّز وجلَّ مولاى، وأنا مولى المؤمنين، وأنى أولى بكم من أنفسِكم؟) فقالوا: بلى يا رسولَ اللّه.

فرفعَ النبيُّ(صلى الله عليه وآله وسلم) يدَ عليّ(عليه السلام) عاليا ونادى بأعلى صوتِه: (من كنتُ مولاه فعليّ مولاه، اللهم والِ من والاه وعاد من عاداه..).

رفعَ النبي يدَ عليّ عاليا ونادى بأعلى صوتِه: (من كنتُ مولاه فعليّ مولاه)



بعد عودةِ الرسولِ(صلى الله عليه وآله وسلم) من حجةِ الوداعِ بمدةٍ قصيرة، كان عمرُه الشريفُ قد بلـغَ ثلاثة وستين عاما، اخذ يشكو من مرضٍ اصابَه، وكان يشتدُّ عليه حتى وافاهُ الأجلُ وهو في حضن ابن عمه وخليفتهِ الامام علي(عليه السلام) وتحلقَ حولَه أهلُ بيتهِ ومحبيه، لتنتقلَ روحُه بسلامٍ الى ربِّها في الثامنِ والعشرين من شهرِ صفر في السنة الحادية عشرةِ من الهجرة.

مضى الصادقُ الامينُ(صلى الله عليه وآله وسلم) بعد رحلة طويلة من الجهاد، كان فيها معلماً ورسولاً، ومبشراً ونذيراً، وصادقاً اميناً، ليخرجَ الناسَ من ظلماتِ الجاهليةِ والكفر الى نور المعرفةِ والاسلام والرحمةِ..

وبقيتْ كلماتُه تترددُ بين أزقةِ المدينةِ وهو يوصي بانَّه لا يريدُ من المسلمين مقابلَ دعوتِه هذه أجراً سوى أن يحافظوا على محبتِهم لاهلِ بيتِه(عليهم السلام) من بعدِه إذ قال: (ايُّها الناس اني فرطكم (أي سابقكم)على الحوض، واني سائلكم حين تردون عَليّ عن الثقلين، فانظروا كيف تخلفوني فيهما، فقالوا: وما الثقلين يارسولَ الله؟ قال: الثقلُ الاكبرُ كتابُ اللهِ سببٌ طرفُه بيدِ اللهِ وطرفٌ بايديكم، فاستمسكوا به ولاتضلوا ولاتبدلوا، وعترتي اهل بيتي).

ارتحل الصادق الامين عن الدنيا وبقيتْ وصيته بانَّ يحافظ المسلمون على محبتِهم لاهلِ بيتِه من بعده




صدرت عن وحدة أدب الطفولة
شعبة الصحافة/قسم الاعلام
2017 م _ 1438 هـ